العنـف

بيـن النتائج والأسباب

رؤية معاصرة من منظور إسلامى

للداعية الإسلامي

يوسف عبد الغنى كيوان

مفتش الدعوة والثقافة الإسلامية

(وزارة الأوقاف)

مكتبة جزيرة الورد

القاهـرة : ٤ ميـدان حليـم خلـف بنـك فيصـل

ش ٢٦ يوليو ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ - ٠٢٧٨٧٧٥٧٤

tokoboko_5@yahoo.com

بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب: العنف بين النتائج والأسباب

إعـــــداد: يوسف كيوان

رقم الإيداع:

الطبعة الاولى ٢٠١٣



القاهـــرة : ٤ ميـــدان حليـــم خلـــف بنـــك فيصـــل
ش ٢٦ يوليو ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٠٤٠٤٦ - ٠٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com



قال تعالى:{وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا}

[النساء الآية: ٢٩]

{ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾}

[الأنعام: ٨٢]

{إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَاۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾}

[المائدة: ٣٣]

* * *

إهــداء

إلى: كل مسلم ومسلمة " عامة " وإلى كل من يسعى في الأرض فسادا " خاصة "

إلــى: كـل مـن يريـد أن يمكـن لـدين الله فــي أرضــه لإعلاء كلمته.

أهدى هـذه الكلمـات وأحتسـب أجـرى علـى الله جـل وعلا.

الكاتب

* * *

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن ولاه وبعد:

لا تستقيم حياة ولا يستقيم مجتمع بدون أمن وأمان، لذا بين الله من مجمل النعم التي أنعم بها على قريش (الإطعام، وعدم الخوف) أما وإذا عمت الفوضى، وتملك الغضب من الإنسان وأصبح قانون الغابة هو الذي يحكم وبلغ العنف مبلغه واستشرى القتل بين الناس فقل على الدنيا السلام، ومن هنا كانت المشاركة بهذا البحث " العنف بين النتائج والأسباب " رؤية معاصرة من منظور إسلامى - إسهام بالخير لإنارة الطريق والعودة إلى دين الله رب العالمين - وقد جاء هذا البحث مشتملا على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول تكلمت في الفصل الأول عن العنف ومشتقاته من إرهاب وغضب وانفعال...إلخ ثم تناولت في الفصل الثانى عقبات على الطريق من شبهات حول الإسلام وخطط لتدميره ثم جاء الفصل الثالث بعنوان (الأمل المنشود) وجاءت الخاتمة بأهم التوصيات والنتائج، وقد جاء هذا البحث في ظل الظروف التي تمر بها مصر عقب ثورة الخامس والعشرين من يناير في عامها الثالث وبعد فهذا هو جهد المقل - وهو عمل بشري يعتريه الخطأ والنقصان وهو معالجات سريعة للأحداث وكما قال القائل:

وما أبرئ نفسى إننى بشر ::: أسهو وأخطأ ما لم يحمنى قدر

والله نسأل أن يجعل هذا العمل وغيره خالصا لوجهه الكريم إنه ولى ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على معلم الناس الخير وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

أبو محمد

يوسف عبد الغنى كيوان

محلة انجاق - شربين - دقهلية م: ٠١٠٠٠٥٨٤٩٢٢٨

البريد الالكترونى: yousefkiwan@yahoo.com

غرة رجب ١٤٣٤هـ - ١١ مايو سنة ٢٠١٣

* * *

تمهيد

إن نهوض وتقدم أى مجتمع يتوقف على أمنه واستقراره ولذا فلا سبيل لمجتمع متزعزع تدب فيه الصراعات والخلافات وينعدم به الأمن والاستقرار إلى إحراز تقدم في أى مجال من مجالات الحياة.

ولذلك عمد رسول الله ﷺ عقب هجرته للمدينة المنورة إلى توحيد الصفوف والقضاء على ما بالمجتمع من صراعات وعدم استقرار فقام بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار والقضاء على ما بين قبيلتى الأوس والخزرج من مشاحنات وردع الخطر اليهودى إدراكا منه لأهمية أمن وسلامة المجتمع داخليا حتى يتسنى له النهوض به دينيا وسياسيا واقتصاديا وعلميا.

ومن هذا المنطلق ومن خلال مجتمع آمن وسليم تمكن رسول الله ﷺ والمسلمون من تشييد دولة إسلامية حضارية عريقة ظهرت على ما عادها من حضارات كالفرس والروم وانتقلت بأهلها من ظلمات الجهل والشرك إلى نور الإيمان والتقدم والرقى.

وها هو رسول الله ﷺ يضرب لنا المثل ثانية من خلال قبوله لشروط صلح الحديبية والتى كانت من وجهة نظر العديد من الصحابة جائرة رغبة منه في الحصول على فترة من الأمن والسلم كى يتسنى له وللمسلمين من خلالها توطيد عرى الدولة الإسلامية والقيام بمهامهم كدعاة إلى دين الله القويم ومن ثم فقد ازداد عدد المسلمين من (١٤٠٠) إلى (١٠٠٠٠) ساعة نقض المشركين للصلح وكان هذا ما تم إنجازه في فترة وجيزة نعم فيها المجتمع بالأمن والسلام من خلال حنكة الرسول ﷺ السياسية ونظرته الثاقبة لأمور الدولة والمجتمع.

ولما كان المجتمع يتكون من أفراد يشكلون ومن علاقات ومؤسسات لذلك فإنه يقع على عاتق الجميع مهام من شأنها تحقيق الأمن المجتمعى وذلك من خلال الآتي:

أولا: دور الأسرة والمسجد في تحقيق الأمن المجتمعى:

أ - إن للأسرة دورا بارزا في تحقيق أمن المجتمع وتقدمه وذلك باعتبارها نواة له وبصلاحها يصلح المجتمع كله لذا فقد خط ديننا القويم حقوقا وواجبات يلزم على أفراد الأسرة آدائها وتحقيقها.

وعلى هذا فإنه يتحتم على كل أفراد الأسرة باختلاف مواقعهم وأعمارهم أن يؤدوا واجباتهم تجاه الله والمجتمع حتى ينعموا بحياة طيبة.

ب - من خلال تصفحنا للتاريخ الاسلامى القديم والحديث يمكننا الوقوف على الدور البارز الذي لعبه المسجد قديما وحديثا فإن رسول الله ﷺ اعتاد أن ينادى المسلمين " الصلاة جامعة " وإن لم يكن وقتا للصلاة وذلك إذا حزبه أمر ما يتعلق بشئون الدولة أو الرعية حتى يتسنى له أن يأخذ القرار المناسب في جو من المشاورة وتبادل الآراء.

ولا يخفى علينا كمسلمين الدور الهام الذي لعبه المسجد في تاريخنا الحديث وفى فترة تعد من أحلك الفترات التي مرت بها الحضارة الإسلامية وذلك عندما تهاوت الأمم على المجتمعات الإسلامية وقامت بتمزيقها وعملت على احتلالها ليس فقط سياسيا بل وفكريا حيث انبثقت حركات المقاومة للاستعمار من المساجد ولم تهدأ حتى توجت مجتمعنا الإسلامي بالتحرير وذلك كالدور الذي لعبه الجامع الأزهر الشريف ببلدنا مصر.

ثانيا: دور المدرسة والجامعة في تحقيق الأمن المجتمعى:

إن المدرسة والجامعة شأنهما شأن غيرهما من مؤسسات اجتماعية تعمل جميعا على أمن وسلامة المجتمع كما أن دور المدرسة لا ينفك عن دور الجامعة ولا يختلف عنه اختلافا جذريا حيث إن ما تقوم به المدرسة هو نفس ما تقوم به الجامعة من نشر للعلم والثقافة والقيم الروحية والدينية إلا أن كل واحدة منهما تقوم بأداء ذلك الغرض في مرحلة عمرية معينة وبأساليب مختلفة ولذا فالكلام عنهما واحد وذلك لاتحاد غرضهما[١].

ولما كان ديننا هو دين الايمان عن يقين وهذا اليقين لا يتأتى إلا عن معرفة وعلم لذا حث الإسلام على العلم والمعرفة فلقد كان أول ما أنزل على رسول الله ﷺ:**{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}**.

ومن هنا يتضح لنا الفرق بين العنف والنهي عن المنكر فالعنف إفساد وفساد في الأرض بكل ما تحمله الكلمة من معان أما النهي عن المنكر فهو للإصلاح وطاعة لله ورسوله.

وقد قال النبي ﷺ :**﴿من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان﴾** [٢]... ألا ليت قومي يعلمون.

* * *

(١) انظر مقومات الأمن المجتمعى في الإسلام.
(٢) انظر شرح الحديث في كتب السنن.

الفصل الأول

العنف ومشتقاته

لن يكون العنف باسم الإسلام

يـربط بعـض النـاس دون وعـى أو إدراك حقيقـي بـين الإسـلام والعنف، ويعتمد هؤلاء على صيحات جوفاء تطلقها وسائل الإعلام الغربية، تلك الصيحات التي تشير إلى أن العنف هو من أساسيات الإسلام وهذا محض إفتراء.

العنف في اللغة: الخرق بالأمر وقلة الرفق، وهو ضد الرفق، وفى الحديث: (إن الله رفيق يحب الرفق ويعطى على الرفق مالا يعطى على العنف)، وهو الشدة والمشقة، وكل ما في الرفق من خير ففى العنف من الشر مثله، كذلك يُعرِّف صاحب كتاب " لغتنا " العنف بـ: (الإكراه المادى الواقع على شخص لإجباره على سلوك أو التزام ما) وبعبارة أخرى هو: سوء استعمال القوة، لأنه كل فعل له رد فعل في غير موضعه.

الإكراه في الدين وموقف الإسلام منه:

لقد أقر الإسلام الحرية الدينية، بل اعتبرها الأساس في الإعتقاد، وهذه قاعدة أساسية صريحة في القرآن الكريم، يقول الله تعالى:{**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرَّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**} [البقرة: ٢٥٦]، وقد قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: (أى لا تكرهوا أحدًا على الدخول في دين الإسلام فإنه بيِّن واضح، جلى دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يكره أحدًا على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام، وشرح صدره، ونور بصيرته، دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه، وختم على سمعه وبصره، فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرها مقهورا).

ومن أجل ذلك جعل الإسلام قضية الإيمان أو عدمه من الأمور المرتبطة أساسا بمشيئة الإنسان نفسه، واقتناعه الداخلى{**فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**} [الكهف: ٢٩]، ولهذا نجد أنه لا سبيل

لنشر الإسلام إلا بالحكمة والقدوة الطيبة والحجة القوية والموعظة الحسنة، فالإيمان بالإسلام تصديق بالقلب، يبلغ مرتبة اليقين، ولا يمكن تحصيله بأى سبيل من سبل الإكراه، وبخاصة إذا كان الإكراه قتالا باسم الجهاد، وإذا كانت الآية الكريمة **{لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}** تعنى التشريع الإلهى للأمر بذلك، فإننا نفهم منها تقرير حقيقة لاستحالة تحصيل حقيقة الدين والتدين بالإكراه، فالإسلام كما يقول عنه المستشرق الكونت هنرى دى كاسترو: (لم يُكره عليه أحد بالسيف ولا باللسان، بل دخل القلوب عن شوق، واختيار وكان نتيجة ما أودع في القرآن من موهبة التأثير والأخذ بالألباب)، أو كما تقول المستشرقة الألمانية زيجريد هونكه: (لقد لعب التسامح العربى دورا كبيرا في انتشار الإسلام، وذلك على العكس تمامًا من الزعم القائل بأنه انتشر بالنار والسيف، وقد أصبح هذا الزعم من الأغاليط الجامدة ضد الإسلام). ولذلك يتبين لنا أن مهمة الرسول ﷺ تنحصر في الموعظة بالرفق واللين، والمجادلة بالحجة والبرهان **{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}** [النحل: ١٢٥]، **{وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا}** [البقرة: ٨٣]، ولقد وردت في القرآن الكريم آيات تزيد على مائة وعشرين آية، تفيد كلها أن نشر الإسلام أساسه الإقناع الهادئ والتعليم المجرد، وترك الناس أحرارًا بعد عرض الدعوة ليقبلوها أو يردوها، فهو يحرص على بقاء القدرة على الإختيار في الفعل بوصفها عاملا ثابتا لا ينقص في حياة النفس.

ومن هنا رأينا النبى ﷺ بعد فتح مكة ترك أهلها قائلا لهم: (اذهبوا فأنتم الطلقاء) (رواه الطبرانى)، فلم يكرههم على الإسلام بعد الإنتصار الحاسم عليهم، كما نجد هذا الأمر يتكرر في ذلك العهد الذي أعطاه الرسول ﷺ لنصارى نجران في اليمن حين قال: (بأنها

وحاشيتها في جوار الله وذمة رسوله على أموالهم وأنفسهم، أرضهم وملتهم، لا يغير أسقفا من أسقفيته، ولا راهبا من رهبانيته، ولا كاهنا من كهونيته، ومن سأل حقا بينهم بالنصف غير ظالمين ولا مظلومين).

ولقد سار الصحابةعلى المنهج نفسه الذي رسمه لهم النبي ﷺ فكانوا يتجنبون إكراه الناس على تغيير معتقداتهم. روى زيد بن أسلم عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول لعجوز نصرانية: أسلمي، أيتها العجوز، تسلمي، إن الله بعث محمدا بالحق، قالت: أنا عجوز كبيرة والموت إلى قريب. قال عمر: اللهم اشهد وتلا (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ). وقد وجدنا هذا الموقف يتكرر حينما حرر عمر بن الخطاب بيت المقدس من المسيحيين، فقد أعطاهم الأمان: (على حياتهم وكنائسهم وصلبانهم، لم يجبر أحد منهم ولم يرغم على ترك دينه). وحينما جاء الصليبيون إلى الشرق، إبان ضعف الخلافة العباسية لمحو الإسلام والقضاء عليه، جذب الإسلام منهم جموعا، فدخلوه وحاربوا في صفوف المسلمين.

موقف الإسلام والديانات الأخرى من العنف:

لقد اتسمت الديانات التي سبقت الإسلام في حروبها ومعاركها، بأنها كانت لا تراعى حرمة و لا تفرق بين كبير وصغير، و لا تترك دابة و لا شجرة: وذلك لأن هدفها هو الانتقام والتشفى وإسكات كل صوت يعارض وجودها، أو يرفع السلاح في وجهها، فقد ورد في الإصحاح الثالث عشر من تثنية الاشتراع (فضربا تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف، تجمع كل أمتعتها على وسط ساحتها وتحرق بالنار المدينة وكل أمتعتها كاملة للرب إلهك..)

ولعل الحروب الصليبية خير شاهد على ذلك، يقول عنها المؤرخ

جيبون: (أقسى ما عرف من التعصب، لا ضد المسلمين فحسب، بل ضد مسيحى الشرق، فإن المسيحيين خدام الرب يوم أن استولوا على بيت المقدس في ١٠٩٩/٧/١٧ م. رأوا أن يكرموا الرب بذبح سبعين ألف مسلم، لم يرحموا الشيوخ و الأطفال، فقد حطموا رؤوس الصبيان على الجدران وألقوا الأطفال الرضع من أسوار المعاقل والحصون، وشووا الرجال على النار، وبقروا بطون الحوامل، ليروا هل ابتلع أهلها الذهب، واستمرت هذه المذبحة ثلاثة أيام، ولم تنته إلا لما أعياهم الإجهاد من القتل، وقد شوهد القاصد الرسولى مندوب البابا وهو يشارك في هذا الانتصار).

ويقول ابن الأثير عن هذه المذبحة: (وقتل الفرنج في المسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفا، منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم، ممن فارق الأوطان وجاور بذلك الموضع الشريف).

هكذا عامل الفرنجة كل قرية وكل مدينة عربية اقتحموها في مشرقنا العربى، ولنذكر مجزرة بغداد بهولاكو عام ١٢٥٨م، حيث أشعل النار فيها وقذف محتويات مكاتبها الحضارية في مياه دجلة، حتى غدت المياه سوداء، وقد تكررت مذبحة هولاكو في بغداد في كل مدينة دخلها المغول والتتار، بما في ذلك حلب وحمص وحماة ودمشق، وغيرها.

كما ان الصليبيين الجدد المتحضرين، الذين أعلنوا أن حضارتنا ورقينا أمانة في أعناقهم، وكرسوا ذلك في ميثاق عصبة الأمم المتحدة في مدتها الثانية، لم يكونوا أقل همجية من أسلافهم، ولنذكر هنا عظيم نابليون بونابرت (مشروع حقوق الإنسان) الذي فتك بكل القيم الإنسانية في أرضنا: (حيث قتل عند أسوار يافا بشكل غير

عادى لا مثيل له أربعة آلاف من حاميتها التي استسلمت في ١٧٩٩/٢/٢م، بعد أن حملهم على الاستسلام وضمن حياتهم).

ولنذكر الهمجية الفرنسية في الجزائر والمغرب العربى وسوريا، والطليان في ليبيا، والإنجليز في مصر ومجزرة دنشواى وبورسعيد، وغيرها الكثير، ولنذكر دير ياسين وكفر قاسم وصبرا وشاتيلا، ومذبحة عين قارة وقانا، ومذبحة جنين، وغزة، انه مسلسل الرعب والإجرام الصليبى واليهودى معا، الذي لم ينته بعد، ممن زعموا انهم حملة رسالة المسيح، والسيد المسيح منهم برئ. ولنذكر غطرسة وزير الدفاع الاسرائيلى إسحاق رابين الذي قتل وأسرف في القتل وهو يقول: (اقتلوا الفلسطنيين، اسحقوا عظامهم، لعلهم يتألمون، فتهدأ انتفاضتهم.. الفلسطينى أجمل ما يكون ميتا، لا حراك فيه)، ومناحم بيجن من قبله، يتبجح مزهوا بدير ياسين قائلا: (لولا دير ياسين لما كانت اسرائيل) [(١)].

أما الإسلام فقد كان يأمر أفراده بأن يدافعوا عن أنفسهم، وأن ينتصروا لمبادئهم دون أن يخرجوا عن حدود إنسانيتهم، وإن القول بأن الإسلام انتشر بالسيف ما هو إلا افتراء، لا يمت بصلة إلى واقع الإسلام الذي انتشر بالدعوة وبالحكمة والموعظة الحسنة أولا، ودائما نضع البراهين الواحد بعد الآخر في سلسلة من آيات القرآن الكريم، ثم في سلسلة من أحداث التاريخ، بحيث لا يبقى للشك مجال، فأما من القرآن فهناك قوله تعالى:**{لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}** [البقرة: ٢٥٦]،**{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}** [النحل: ١٢٥]،**{فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ}** [الكهف: ٢٩]،**{لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}** [الكافرون:

(١) من مقال للدكتور/ ربيع خليفة عبد الصادق

٦]،{**فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ**} [الرعد: ٤٠]،{**فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ**} [الغاشية: ٢١، ٢٢].

أما في سلسة التاريخ، فرأينا بوضوح أن الإسلام سلك طريقه بالدعوة دون عنف أو انفعال.

ولذا فإننا نقول أن الانفعال بعين حالة من الإثارة والتغيير وعدم الاستقرار لدى الكائن الحي، فهو حالة تغير مفاجئ تشمل الفرد كله دون ان يختص بها جزء معين من جسمه لأنه ظاهرة نفسية نتيجة لعوامل داخلية.

أما عن أنواع الانفعال فهى:

الانفعال عندما يكون حادًا يؤدى على إعاقة السلوك واضطرابه ولذلك فهو مختلف الأنواع ومن أهمها انفعال الخوف، انفعال الغضب، انفعال الحب، انفعال الكره...الخ وعندما يكون الدافع قويا يصحب الاستجابة دائما حالة من الانفعال، ولمعظم الدوافع انفعال مميز لها، فدافع المقاتلة يصاحبه انفعال الغضب، ودافع الهرب يصاحبه انفعال الخوف والدافع الجنسى يتصل به الشهوة وهكذا [١].

ومن هنا يظهر مفهوم العدوان بأنه: كل سلوك نشط فعال تهدف العضوية من ورائه إلى سد حاجاتها الأساسية أو غرائزها [٢].

معنى الانحراف:

الانحراف يعنى الميل عن القصد، والقصد هو الطريق الواسع الميسر للسلوك فيه، ويطلق عليه اسم الجادة، يقول ابن الأثير في النهاية أنها سواء الطريق ووسطه، وقيل هى الطريق الأعظم التي

(١) المدخل إلى علم النفس
(٢) الاضطرابات السلوكية والانفعالية

تجمع الطرق ولابد من المرور عليه، ومن كثرة المشى في الطريق يمهد نوعا ويسهل السير فيه، والمنحرف هو الذي يميل إلى أحد الحرفين أى جانبى الجادة الممهدة، ولا شك أن السير فيه شاق غير مرغوب فيه.

ومن هنا أطلقوا لفظ الوسط على الاعتدال أو على الشئ المعتدل بين طرفين غير مستقيمين حسا او معنى، واختاروه طريقا أمثل للسلوك، قال تعالى:**{وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ}** [النحل: ٩]، أى على الله سبحانه رحمة وتفضلا منه بيان الطريق القصد السوى للفكر والسلوك، لأن السبل إلى بلوغ الهدف منها جائر ينبهنا إليه ويحذرنا منه، ولو شاء الله لهدى الناس جميعا اى وفقهم الى سلوك القصد، فالذى عليه رحمة هو الهداية بمعنى الإرشاد والدلالة، والذى منه تفضلا هو التوفيق للسلوك المستقيم، قال تعالى في المعنى الأول للهداية:**{إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا}** [الإنسان: ٢]،**{وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ}** [البلد: ١٠]،**{إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}** [القصص: ٥٦].

- وأخطر أنواع الإنحراف هو انحراف الفكر والبعد به عن القصد، ذلك أن السلوك نابع منه ومتأثر به.

وقد قال علماء الأخلاق والتربية: أن كل عمل لابد أن تسبقه خطوات، العلم به، ثم الاقتناع به، ثم توجه الإرادة لتنفيذه، فالسلوك بغير دافع من رأى أو عقيدة تخبط، وهو عمل المجانين والسفهاء الذين لا يعون ما يقولون وما يفعلون، ومن أجل هذا كانت العناية بتقويم الفكر وتصحيح الإعتقاد هى أول نقطة في برنامج كل إصلاح جاء به نبى من الأنبياء، او نادى به زعيم من الزعماء، وهى في

حاجة إلى مدة طويلة ومتابعة مستمرة بالوسائل المتعددة لتحويل الفكر إلى مساره الصحيح، وتلك المرحلة تعرف في اصطلاح الثورات بمرحلة التحول، التي تليها مرحلة الإنطلاق بالعمل والتطبيق بعد التحرر من قيود الفكر القديم، ويشير إلى خطورة العقيدة وأثرها في السلوك قول النبى ﷺ : ﴿**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب**﴾ (١).

ولما قال له سفيان بن عبد الله: يا رسول الله قل لى في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك، قال:﴿**قل: آمنت بالله ثم استقم**﴾(٢) وليس المراد هو التلفظ فقط بكلمة:﴿**آمنت بالله**﴾ فما أيسرها على اللسان، وكم قالها من لم يعتد الإسلام بإسلامهم وهم المنافقون، ولكن المراد القول الصادق المعبر عما في القلب تعبيرا صحيحا.

والإنحراف بطرفيه، الإفراط والتفريط، في الراى والعقيدة يضر صاحبه، والله وحده هو الذي يجازيه عليه مادام لم يتعد نطاق الإنسان نفسه، لكن خطورته التي يجب أن يتنبه إليها تكون عندما يجهر به ويحاول ان يفرضه على غيره أو يستميله إليه، وهذا إضرار لا يقره الإسلام.

وكذلك الانحراف في السلوك غلوا أو إهمالا، يضر صاحبه فقط إذا لم تكن له صفة اجتماعية تؤثر على علاقته بالغير(٣)، وإن كان له تأثير ضار إلى حد ما إذا كان في مقام القدوة كالأب في الأسرة، والمربى مع تلاميذه، والرئيس مع مرءوسيه، فالمحاكاة والتقليد من

---

(١) رواه البخارى ومسلم
(٢) رواه مسلم
(٣) انظر بيان للناس من الأزهر الشريف

أهم وسائل التربية والتأثير على السلوك، فإن تعدى الانحراف إلى الإضرار بالغير كانت خطورته التي يجب أن تقاوم ولاسيما بأمن المجتمع كله.

فقد أدى إلى حوادث اغتيال كما سجلها التاريخ منها:

١ - اغتيال رئيس الوزراء (محمود فهمى النقراشى) ١٩٤٨م

٢ - اغتيال رئيس جماعة الإخوان المسلمين (حسن البنا) في ١٢ من فبراير سنة ١٩٤٩ كرد فعل لاغتيال النقراشى.

٣ - محاولة اغتيال رئيس الجمهورية جمال عبد الناصر سنة ١٩٥٤م.

٤ - إعدام بعض شخصيات دينية وقانونية وعلمية نتيجة لهذه المحاولة وغيرها.

٥ - قتل بعض طلبة الكلية الفنية العسكرية في أبريل ١٩٧٤م.

٦ - اغتيال الشيخ محمد حسين الذهبى وزير الأوقاف في يولية سنة ١٩٧٧م وإعدام رئيس جماعة التكفير والهجرة وخمسة ممن عاونوه في هذا الاغتيال.

٧ - قتل ٨١ من رجال الشرطة وبعض الأطفال في هجوم يوم ٨ من أكتوبر سنة ١٩٨١ في مدينة أسيوط أثناء صلاة عيد الأضحى.

٨ - اغتيال رئيس الجمهورية محمد أنور السادات يوم ٦ من أكتوبر سنة ١٩٨١م وإعدام خمسة من تنظيم الجهاد المعتقدين أن قتل الحكام هو الوسيلة الوحيدة لإقامة الدولة الإسلامية وبالتالى إحياء الخلافة الإسلامية.

٩ - وهذا الى جانب هجوم جماعة من المتطرفين على الحرم الملكى وقتل بعض من فيه في مطلع العام الهجرى (يوم الثلاثاء أول محرم ١٤٠٠هـ)، وأعدم مدبر هذا الهجوم (جهيمان بن محمد ابن سيف العتيبى) وآخرون.

هذه هى أهم مظاهر العنف التي ترتبت على التطرف الدينى في الفكر والأسلوب، وإن كانت هناك مظاهر عنف أخرى أساسها تطرف سياسى وخلاف حزبى، كاغتيال بطرس غالى، وأحمد ماهر، وأحمد الخازندار، وأمين عثمان.

ومصر بحمد الله من أحسن البلاد الإسلامية استقرارا وهدوءا وبعدا عن العنف، إن لم تكن أحسنها إلا أن الأمر تبدل وتغير بعض الشئ بعد ثورة الخامس والعشرين من يناير سنة ٢٠١١ ونسأل الله أن يجعلها دائمًا أمنًا أمانًا.

أما عن الإرهاب فقد يقع من آحاد الناس، أو جماعة، ومنه الحرابة، وقد يكون مصدره الدولة، إذا وقع التخويف والإيذاء على غير العصاة والمفسدين، أو كان تجاوزا للحد في عقوبتهم وإيذائهم، أو كان بغيا وعدوانا على دولة أخرى مسلمة، عبثا بأمنها وتنكيلا بأهلها.

وأما المقاومة: فهى دفاع عن حق مسلوب من غاصب، وهى مشروعة، بل واجبة، لطرد المعتدين واسترداد الحقوق المغتصبة، وخير مثال على المقاومة، جهاد أهل فلسطين للصهاينة المحتلين لبلادهم.

الفرق بين الإرهاب والجهاد:

الجهاد في المعنى الشرعي هو: بذل الجهد، ويطلق على مجاهدة النفس وكفها عن الشهوات، ومجاهدة الشيطان وعدم اتباع خطواته، ومجاهدة العدو بالوسائل السلمية أولا، ثم عند اقتضاء الأمر للمحافظة على حرمة البلاد والعباد يلجأ إلى القتال بضوابط وضعها الإسلام وطبقها النبى عليه الصلاة والسلام.

قال العلامة ابن رشد: (كل من أتعب نفسه في ذات الله فقد جاهد في سبيله) [(١)].

والإرهاب يختلف عن الجهاد اختلافا جوهريا في كل شئ، في حقيقته ومفهومه، وأسبابه، وأقسامه، وثمراته، ومقاصده، وحكمه شرعا.

إن الإرهاب -كما سبق - بمعنى العدوان هو ترويع الآمنين وتدمير مصالحهم، ومقومات حياتهم، والاعتداء على أموالهم وأعراضهم، وحرياتهم وكرامتهم الإنسانية بغيا وإفسادا في الأرض.

أما (الجهاد) فهو يهدف إلى الدفاع عن حرمات الآمنين:

أنفسهم، وأموالهم، وأعراضهم، وإلى توفير وتأمين الحياة الحرة الكريمة لهم، وإنقاذ المضطهدين وتحرير أوطانهم وبلدانهم من براثن قوى الاحتلال والاستعمار [(٢)].

---

(١) المقدمات الممهدات لابن رشد ٣٤٢/١

(٢) ظاهرة الإرهاب الأبعاد والمخاطر

موقف الإسلام من الإرهاب:

تعريف الإرهاب هو استراتيجية عنف محرم دوليا تحفزها بواعث عقائدية (ايدلوجية) أو تتوخى إحداث عنف مرعب داخل شريحة خاصة من مجتمع معين لتحقيق الوصول إلى السلطة للقيام برعاية مطلب معين أو لمنظمة، بغض النظر عما إذا كان مقترفو العنف من أجل أنفسهم أو نيابة عن الغير.

- الإرهاب السياسى: شكل من أشكال العنف السياسى يقوم بممارسته أفراد أو جماعات أو دول.

- الاستعمال العمدى والمنتظم لوسائل من طبيعتها إثارة الرعب بقصد تحقيق أهداف معينة.

يمكن القول أن غياب الإتفاق الدولى على الحد الأدنى للتعريف ومفهوم الإرهاب وقف حائلا ومانعا دون تبنى تعريف مقبول لدى الكل لمصطلح الإرهاب!.

ويبدو من إطلاق واستعمال لفظ الإرهاب بمعناه المتداول الآن بمعنى: استخدام او استعمال طريقة عنيفة كوسيلة الهدف منها نشر الرعب للإجبار على اتخاذ موقف معين أو الامتناع عنه [١].

(١) من مقال للدكتور/ احمد محمد كريمة

أهم الأسباب التي تدفع للتطرف والإرهاب من منظور ديني:

١ - الفهم الخاطئ للدين ومبادئه وأحكامه، وغياب القدوة نتيجة افتقار الشباب إلى المثل العليا التي يؤمنون بها في سلوك المجتمع، كما أن الفراغ الدينى يعطى الفرصة للجماعات المتطرفة لشغل هذا الفراغ بالأفكار التي يروجون لها ويعتنقونها.

٢ - غياب الحوار المفتوح من قبل علماء الدين لكل الأفكار المتطرفة ومناقشة الجوانب التي تؤدى على التطرف في الرأى يرسخ الفكر المتطرف لدى الشباب.

٣ - ضعف مناهج التعليم عن أداء دورها، ففى معظم الأقطار العربية تعتمد العملية التعليمية على التلقين والتكرار والحفظ، وعلى حشو ذهن الطالب طوال مختلف المراحل الدراسية بمعلومات، دون إعمال للعقل ودون تحليل أو نقد، ومثل هذه النظم تفرز طالبا يتقبل بسهولة كل ما تمليه عليه سلطة المعلم دون نقاش، وبذلك يصبح من السهل جدا على مثل هذا الطالب أن يتقبل كل ما تمليه سلطة ما دون تحليل أو نقد أو معارضة، ويكون عرضة للانخراط في أية جماعة أيا كان توجهها، حيث يتم تلقين الفكر وتقبله دون تحليل، ويسهل الانقياد بفعل إبطال عمل العقل.

٤ - غياب العدالة الاجتماعية، والتفاوت في توزيع الدخول والخدمات والمرافق الأساسية كالتعليم والصحة والإسكان والكهرباء بين الحضر والريف، وتكدس الأحياء العشوائية في المدن بفقراء المزارعين النازحين من القرى فضلا عن زيادة أعداد الخريجين من المدارس والجامعات الذين لا يجدون فرص العمل، أدى إلى البطالة

والتفكك الأسرى وضعف التربية والتوجيه وأصدقاء السوء ونحوها، وجميعها تشكل تربة خصبة لنمو الأفكار الخاطئة.

أساليب العلاج من منظور ديني:

١ - مراجعة المؤسسات الدينية الرسمية لأساليبها الدعوية خاصة أن معظمها يغلب عليه الروتين والتقليد في مجالات الوعظ والإرشاد والتوجيه، وأن تتحول إلى مؤسسات فعالة قادرة على تقديم إجابات عن تساؤلات الحياة المعاصرة، ومساعدة المسلم المعاصر على التكيف مع الواقع المعايش، ثم النهوض به وتطويره.

٢ - ضرورة انفتاح المؤسسات الدينية الرسمية على العالم الخارجى، وعمل حوارات حقيقية مع كل التيارات الدينية.

٣ - فتح جميع قنوات الاتصال بالجماهير أمام دعاة التيار المعتدل الذين يفهمون الإسلام فهما شموليا دقيقا وعميقا من تلفاز ومذياع وصحف ومحاضرات عامة ودروس بالمساجد ونحوها؛ لان في ذلك نموا للفكر الإسلامى الصحيح المعتدل، وهذا يضيق ويقلل من فرص نشأة التيار المتطرف الذي يتبنى العنف في خطابه.

٤ - مراجعة مناهج التعليم، وتضمينها قيم الحوار، والنقد، والتعايش وإقرار حقوق الآخرين، وتدريس أدب الخلاف والتربية عليه عملا بقوله تعالى:{**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**} [النحل: ١٢٥].

٥ - دعوة وسائل الإعلام بمختلف أنواعها لأداء عمل يوازى دور المؤسسات الدينية والتعليمية في ترسيخ القيم الإنسانية.

٦ - الإستفادة من المثقفين والكتاب بتقديم الأعمال التنويرية الحقيقة ونشرها على أوسع نطاق، وليس فقط في المقالات والأعمدة

الصحفية.

٧ - إعادة النظر في تراثنا العربى والإسلامي، بما يضمن قيم التعددية السياسية والحرية الفكرية، وإبراز دور المرأة المسلمة، والشورى في ظل الإسلام.

٨ - وضع مشروع متكامل للإصلاح الإجتماعي يسير جنبا إلى جنب مع الإصلاح التعليمي والاقتصادي.

٩ - مواجهة التيارات الفكرية الدينية المتشددة بفكر الاعتدال والاتزان، درءا للتطرف من ناحية وتنمية للوسطية والاعتدال من ناحية أخرى.

أخطار العنف المجتمعي:

كثرت حوادث العنف وجرائم القتل وإزهاق الأرواح في الآونة الأخيرة، جاوزت الحد وأرقت الضمير، وقد تضاعف الألم والشعور بالحزن بسبب تفشى هذه الحوادث والجرائم بين أفراد الأسرة التي أصبحت معدلات ارتكابها أشبه بمسلسل تتتابع حلقاته بصورة مثيرة في وسائل الإعلام من صحافة وتلفاز وإذاعة، الأمر الذي جعل هذه الفواجع مصدر صدمة للرأى العام، مسببا الإنفلات الإجتماعى محدثا الفزع والرعب والإحساس بعدم الأمان، وما ينتج عنه من الأسى والاكتئاب لكل من يطالع هذه الجرائم النكراء.

ومكمن الخطر في تنامى هذا النمط الإجرامى، هو التحول الذي طرأ على الأسرة المصرية، وهو تحول بائس لما نتج عنه من ضعف الدين في النفوس، ومن ثمَّ أسفر عن تفكك أسرى، وتراجع الشعور بالمسئولية، وعدم القدرة على مواجهة الصعاب والمشاكل والتحديات الضاغطة بفعل التطور السريع في العصر الراهن، وزيادة الطموحات والتطلعات التي لا تتفق مع قدرات الشخص في

وقت توارث فيه القناعة والرضا بما رزق الله التي طالما عاشت عليها الأسرة المصرية على مدى السنوات والأجيال، فكانت سمة مجتمعية، استمدادا من معتقد ايمانى راسخ في أعماق النفس والضمير، إيمانا بما أخبر الله به في قرآنه:{**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا**} [سورة الطلاق: ٢، ٣] وتغلغل ذلك في الوجدان الأسرى والضمير الاجتماعى وترسخ الاعتقاد بأنه لا حيلة في الرزق ولا شفاعة في الموت(١).

لكن المستجدات المعاصرة التي عمت كل جوانب الحياة، أفرزت أوضاعا جديدة وزلزلت قناعات مستقرة فقد حل البطر والشره والطمع محل القناعة والرضا بما قسم الله، وتناسى الناس حديث الرسول ﷺ : ﴿**من أصبح معافى في بدنه، آمنا في سربه، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها**﴾. وشاعت الأنانية والأنامالية البغيضة بديلا عن الأسرة المتحابة المتماسكة المتكاملة والجماعة الطيبة، وسرى هذا المسلك الخاطئ في العلاقات بين أفراد المجتمع، فعاش كل شخص لنفسه باحثا عن مصلحته، غير مكترث بغيره، ناهيك عن الاهتمام بشئون مجتمعه، وسيطر على النفوس الرغبة الجامحة في الغنى، ومن ثم كان ذلك التنافس والتسابق على الكسب بشتى ألوانه وطرقه.

ما هو الاستبداد؟

الاستبداد لغة هو: غرور المرء برأيه، والأنفة عن قبول النصيحة، أو الاستقلال في الرأى وفى الحقوق المشتركة.

ويراد بالاستبداد عند إطلاقه استبداد الحكومات خاصة؛ لأنها

(١) من مقال للدكتور/ محمد الشحات الجندى

أعظم مظاهر أضراره التي جعلت الإنسان أشقى ذوى الحياة. وأما تحكم النفس على العقل، وتحكم الأب والأستاذ والزوج.

ورؤساء بعض الأديان، وبعض الشركات، وبعض الطبقات؛ فيوصف بالاستبداد مجازا أو مع الإضافة.

الاستبداد في اصطلاح السياسيين هو: تصرف فرد أو جمع في حقوق قوم بالمشيئة وبلا خوف تبعة، وقد تطرق مزيدات على هذا المعنى الاصطلاحى فيستعملون في مقام كلمة (استبداد) كلمات: مساواة، وخصم مشترك، وتكافؤ، وسلطة عامة. ويستعملون في مقام صفة (مستبد) كلمات: جبار، وطاغية، وحاكم بأمره، وحاكم مطلق. وفى مقابلة (حكومة مستبدة) كلمات: عادلة، ومسئولة، ومقيدة، ودستورية. ويستعملون في مقام وصف الرعية (المستبد عليهم) كلمات: أسرى، ومستصغرين، وبؤساء، ومستنبتين [١]، وفى مقابلتها: أحرار، وأباة، وأحياء، وأعزاء.

هذا تعريف الاستبداد بأسلوب ذكر المرادفات والمقابلات، وأما تعريفه بالوصف فهو: أن الاستبداد صفة

للحكومة المطلقة العنان، فعلا أو حكما، التي تتصرف في شئون الرعية كما تشاء بلا خشية حساب ولا عقاب محققين. وتفسير ذلك هو كون الحكومة إما هى غير مكلفة بتطبيق تصرفها على شريعة، أو على أمثلة تقليدية، أو على إرادة الأمة، وهذه حالة الحكومات المطلقة. أو هى مقيدة بنوع من ذلك، ولكنها تملك بنفوذها إبطال قوة القيد بما تهوى، وهذه حالة أكثر الحكومات التي تسمى نفسها بالمقيدة

(١) الاستنبات أو التنبيت من اصطلاحات الفرنج، يريدون به الحياة الشبيهة بحياة النبات (الكواكبى).

أو بالجمهورية [1].

وأشكال الحكومة المستبدة كثيرة ليس هذا البحث محل تفصيلها. ويكفى هنا الإشارة إلى أن صفة الاستبداد، كما تشمل حكومة الحاكم الفرد المطلق الذي تولى الحكم بالغلبة أو الوراثة، تشمل أيضا الحاكم الفرد المقيد المنتخب متى كان وليس هناك أدل على ذلك من (فرعون - النمرود) وغيرهما، كحكام في استبدادهم.

الاستبداد والأخلاق:

الاستبداد يتصرف في أكثر الأميال الطبيعية والأخلاق الحسنة، فيضعفها، أو يفسدها، أو يمحوها، فيجعل الإنسان يكفر بنعم مولاه؛ لأنه لم يملكها حق الملك ليحمده عليها حق الحمد، ويجعله حاقدا على قومه؛ لأنهم عون لبلاء الاستبداد عليه، وفاقدا حب وطنه؛ لأنه غير آمن على الاستقرار فيه، ويود لو انتقل منه، وضعيف الحب لعائلته؛ لأنه ليس مطمئنا على دوام علاقته معه. ومختل الثقة في صداقة أحبابه، لأنه يعلم منهم أنهم مثله لا يملكون التكافؤ، وقد يضطرون لإضرار صديقهم، بل وقتله وهم باكون. أسير الاستبداد لا يملك شيئا ليحرص على حفظه؛ لأنه لا يملك مالا غير معرض للسلب ولا شرفا غير معرض للإهانة. ولا يملك الجاهل منه آمالا مستقبلة ليتبعها ويشقى كما يشقى العاقل في سبيلها.

(١) انظر كتاب الاستبداد ومصارع الاستعباد.

وهذه الحال تجعل الأسير لا يذوق في الكون لذة نعيم، غير بعض الملذات البهيمية.

ومن كانت هذه حاله كيف يكون له خلاق، وإن وجد ابتداء يتعذر استمراره عليه؟!

أقل ما يؤثره الاستبداد في أخلاق الناس، أنه يرغم حتى الأخيار منهم على ألفة الرياء والنفاق وفعل السيئات، وأنه يعين الأشرار على إجراء غى نفوسهم آمنين من كل تبعة ولو أدبية، فلا اعتراض ولا انتقاد ولا افتضاح، لأن أكثر أعمال الأشرار تبقى مستورة، يلقى عليها الاستبداد رداء خوف الناس من تبعة الشهادة على ذى شر وعقبى ذكر الفاجر بما فيه. ولهذا، شاعت بين الناس قواعد كثيرة باطلة كقولهم: إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب، وقولهم: البلاء موكول بالمنطق. وقد تغالى وعاظهم في سد أفواههم حتى جعلوا لهم أمثال هذه الأقوال من الحكم النبوية، وكم هجوا لهم الهجو والغيبة بلا قيد، فهم يقرءون:**{لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسَّوءِ مِنَ الْقَوْلِ}** ويغفلون بقية الآية، وهى:**{إِلَّا مَنْ ظُلِمَ}** [النساء: ١٤٨].

أقوى ضابط للأخلاق النهى عن المنكر بالنصيحة والتوبيخ؛ أى يحرص الأفراد على حراسة نظام الإجتماع، وهذه الوظيفة غير مقدور عليها في عهد الإستبداد لغير ذوى المنعة من الغيورين وقليل ما هم، وقليلا ما يفعلون، وقليلا ما يفيد نهيهم؛لأنهم لا يمكنهم توجيهه لغير المستضعفين الذين لا يملكون ضررا ولا نفعا، بل ولا يملكون من أنفسهم شيئا، ولأنه ينحصر موضوع نهيهم فيما لا تخفى قباحته على أحد من الرذائل النفسية الشخصية فقط، ومع ذلك فالجسور لا يرى بدا من الاستثناء المخل للقواعد العامة كقوله: السرقة قبيحة إلا إذا كانت استردادا منها، والكذب حرام إلا للمظلوم. والموظفون في

عهد الاستبداد للوعظ والإرشاد يكونون - مطلقا - ولا أقول غالبا، من المنافقين الذين نالوا الوظيفة بالتملق، وما أبعد هؤلاء عن التأثير، لأن النصح الذي لا إخلاص فيه هو بذر عقيم لا ينبت، وإن نبت كان رياء كأصله، ثم إن النصح لا يفيد شيئا إذا لم يصادف أذنا تتطلب سماعه؛ لأن النصيحة وإن كانت عن إخلاص فهى لا تتجاوز حكم البذر الحى: إن ألقى في أرض صالحة نبت، وإن ألقى في أرض قاحلة مات.

الاستبداد والتخلص منه:

ليس لنا مدرسة أعظم من التاريخ الطبيعى، ولا برهان أقوى من الاستقراء، من تتبعهما يرى أن الإنسان عاش دهرا طويلا في حالة طبيعية تسمى (دور الافتراس)، فكان يتجول حول المياه أسرابا تجمعه حاجة الحضانة صغيرا، وقصد الاستئناس كبيرا، ويعتمد في رزقه على النبات الطبيعى وافتراس ضعاف الحيوان في البر والبحر، وتسوسه الإرادة فقط، ويقوده من بنيته أقوى إلى حيث يكثر الرزق.

ثم ترقى الكثير من الإنسان إلى الحالة البدوية التي تسمى (دور الاقتناء): فكان عشائر وقبائل، يعتمد في رزقه على ادخار الفرائس إلى حين الحاجة، فصارت تجمعه حاجة التحفظ على المال والأنعام، وحماية المستودعات والمراعى والمياه من المزاحمين.

ثم انتقل - ولا يقال ترقى - قسم كبير من الإنسان إلى المعيشة الحضرية: فسكن القرى يستنبت الأرض الخصبة في معاشه، فأخصب، ولكن في الشقاء، ولعله استحق ذلك بفعله؛ لأنه تعدى قانون الخالق، فإنه خلقه حرا جوالا، يسير في الأرض؛ ينظر آلاء الله، فسكن، وسكن إلى الجهل وإلى الذل، وخلق الله الأرض مباحة،

فاستأثر بها، فسلط الله عليه من يغصبها منه ويأسره. وهذا القسم يعيش بلا جامعة، تحكمه أهواء أهل المدن وقانونه: أن يكون ظالمًا أو مظلومًا.

ثم ترقى قسم من الإنسان إلى التصرف إما في المادة وهم الصناع، وإما في النظريات وهم أهل المعارف والعلوم. وهؤلاء المتصرفون هم سكان المدن الذين هم وإن سجنوا أجسامهم بين الجدران، لكنهم أطلقوا عقولهم في الأكوان، وهم قد توسعوا في الرزق كما توسعوا في الحاجات، ولكن أكثرهم لم يهتدوا حتى الآن للطريق المثلى في سياسة الجمعيات الكبيرة. وهذا هو سبب تنوع أشكال الحكومات وعدم استقرار أمة على شكل مرض عام. إنما كل الأمم في تقلبات سياسية على سبيل التجريب، وبحسب تغلب أحزاب الاجتهاد أو رجال الاستبداد.

وتقرير شكل الحكومة هو أعظم وأقدم مشكلة في البشر، وهو المعترك الأكبر لأفكار الباحثين، والميدان الذي قل في البشر من لا يجول فيه على فيل من الفكر، أو على جمل من الجهل، أو على فرس من الفراسة، او على حمار من الحمق، حتى جاء الزمن الأخير فجال فيه إنسان الغرب جولة المغوار الممتطي في التدقيق مراكب البخار. فقرر بعض قواعد أساسية في هذا الباب تضافر عليها العقل والتخريب، وحصحص فيها الحق اليقين، فصارت تعد من المقررات الإجماعية عند الأمم المترقية، ولا يعارض ذلك كون هذه الأمم لم تزل أيضا منقسمة إلى أحزاب سياسية يختلفون شيعا؛ لأن اختلافهم هو في وجوه تطبيق أصول تلك القواعد وفروعها على أحوالهم الخصوصية.

وهذه القواعد التي قد صارت قضايا بديهية في الغرب؛ لم تزل مجهولة أو غريبة، أو منفورا منها في الشرق؛ لأنها عند الأكثرين منهم لم تطرق سمعهم، وعند البعض لم تنل التفافهم وتدقيقهم، وعند آخرين لم تحرز قبولا؛ لأنهم ذوو غرض، أو مسروقة قلوبهم، أو في قلوبهم مرض وأذكرهم بأنه قد سبق في تعريف الاستبداد بأنه: (هو الحكومة التي لا يوجد بينها وبين الأمة رابطة معينة معلومة مصونة بقانون نافذ الحكم). كما أستلفت نظرهم إلى أنه لا يوثق بوعد من يتولى السلطة أيا كان، ولا بعهده ويمينه على مراعاة الدين، والتقوى، والحق، والشرف، والعدالة، ومقتضيات المصلحة العامة، وأمثال ذلك من القضايا الكلية المبهمة التي تدور على لسان كل بر وفاجر، فالاستبداد يحتاج إلى وقت للتخلص منه.

الغضب وأثره على الفرد والمجتمع:

إن الغضب عدو العقل، وهو له كالذئب للشاة، وهو من الصفات التي ندر أن يسلم منها أحد، فهو ينسى الحرمات، ويدفن الحسنات، ويخلق للبريء جنايات، والغضب: الشدة، ورجل غضوب: اى شديد الخلق.

ومعناه: تغير يحصل عند فوران دم القلب ليحصل عنه التشفى في الصدر، والغضب جماع الشر، ومصدر الهلاك، وعنوان الدمار، الغضب خلق أحمق، وتصرف أهوج، وداء مزعج، وخطر محدق، وشيطان أخرس.

الغضب نار الفؤاد، وجمرة في القلب، وشرارة في العين، وحمرة في العين، وتوتر في الأعصاب، وانتفاخ في الأوداج، وحمق في التصرف، ومسارعة للانتقام، ومبادرة للتشفي؛ آثاره أليمة، وعواقبه وخيمة، دمرت به أسر، ومزقت به بيوت، وقطعت به أرحام،

وأشعلت به فتن، وقامت بسببه محن، وزرعت بفعله إحن، رملت به نساء، وأريقت به دماء، يغضب الرحمن، ويفرق الإخوة، ويعمى الأبصار، ويصم الآذان. الغضب: خلق ذميم، وتصرف لئيم، وفعل مشين، مفتاح لأكثر البلايا، وسبب لأعظم الرزايا، وهذا إذا زاد عن حده، وخرج عن قصده، وإلا فإن الغضب موجود، وبعض منه محمود [1].

أولا: أسباب الغضب:

بواعث الغضب وأسبابه كثيرة جدا والناس متفاوتون فيها، فمنهم من يغضب للأمر التافه، ومن أسباب الغضب:

١ - العُجْب بالرأى والمكانة والنسب والمال: إن لم يعقل بالدين، وذلك برده ودفعه، فالعجب قرين الكبر وملازم له، والكبر من كبائر الذنوب، قال ﷺ :﴿**ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه.....**﴾ (المعجم الأوسط للطبرانى).

٢ - المراء والجدال: قال عبدالله ابن الحسين: " المراء رائد الغضب فأخزى الله عقلا يأتيك به الغضب ".

٣ - المزاح: فبعض المكثرين من المزاح يتجاوزون الحد المشروع منه: إما بكلام لا فائدة منه، أو بفعل مؤذ، قد ينتج عنه ضرر بالغ، ثم يزعم بعد ذلك أنه كان يمزح، قال ﷺ :﴿**لا يأخذن أحدكم متاع صاحبه جادا ولا لاعبا، وإذا وجد أحدكم عصا صاحبه فليرددها إليه**﴾ (مسند أحمد).

وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه: " إياك والمزاح فإنه يجر القبيح ويورث الضغينة ".

إلى غير ذلك من هذه الأسباب والصور السابقة الذكر.

---

(١) من مقال للدكتور/ ربيع خليفة عبد الصادق

العنف والغضب:

الذي يتدبر العنف يرى أنه يرجع من أول وهلة إلى الغضب الذي يتملك الإنسان وتاريخه يرجع إلى بداية خلق أبو البشر آدم عليه السلام، حينما جاء الأمر من الله لإبليس بالسجود لآدم " قال أنا خير منه " وما حدث بين ابنى آدم (قابيل وهابيل) ناتج عن الحسد ثم تملك الغضب صاحبه فقام بقتل أخيه، وبالنظر إلى قصة أصحاب الأخدود والغلام ناتج ذلك عن حب الأنا " فكان العنف القتال لاستباحة الدماء، وحينما ادعى فرعون الألوهية وملك مصر فهو غضب ترتب عليه انفعال فقام بقتل الصبيان دون الإناث ثم جاء الختام الأكبر بالعنف الأشد لسيدنا رسول الله ﷺ واختلاف ألوانه لمجرد أنه يدعو إلى عبادة الله الواحد الأحد ثم جاء من بعده مقتل عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان رضى الله عنهم أجمعين كل ذلك ينبئ عن ارتباط الغضب بالعنف ولإيذاء فيصل إلى سفك الدماء [1].

أما عن أنواع العنف:

فالعنف تتعدد أشكاله وألوانه وسبله فمن أنواعه:

١ ـ **العنف بالكلام** وهذا ليس وليد اليوم عبر أجهزة الإعلام المضللة وإنما استخدمه من قبل أبولهب وزوجه بالتشهير والسب لسيدنا رسول الله ﷺ ومن قبل ما حدث من آزر مع سيدنا إبراهيم عليه السلام.

٢ ـ **العنف بالقوة الجسدية:** كما حدث مع حمزة بن عبد المطلب ومُثِّل به على الملأ وما حدث للنبى ﷺ في محاربته للمشركين حينما شُجَّ رأسه وكسرت رباعيته.

(١) انظر قصص الأنبياء لابن كثير، قصص القرآن الدكتور محمد بكر إسماعيل ـ للشرح والتفصيل.

٣ ـ العنف بالاستيلاء على الأرض:

كما أشار القرآن الكريم إلى صاحب الجنتين وصاحب الجنة كما في سورة الكهف وسورة القلم وما حدث في قصة داود وسليمان وصاحب الحرث، والذى له تسع وتسعون نعجة وحديثا بالاستعمار الصهيونى على أرض فلسطين وغزو الأمريكان لأرض العراق وأشباههم في الأرض كثير.

٤ ـ العنف الأسرى والمجتمعى:

باستخدام العنف مع الطالب مباشرة دون استخدام الوسائل التربوية وباستخدام العنف من الزوج للزوجة، أو من الأب للأبناء فيسبب ذلك الخلل الفادح في المجتمع فينتج عنه الكبت والانفعال والغضب والعنف والقتل والأمراض النفسية والعصبية فيكون المجتمع غير مترابط ولا متماسك.

٥ـ العنف والتحرش الجنسي:

ويلاحظ ذلك من خلال الاختلاط السافر والانفتاح الماجن الذي يمر به الجنسين ولاسيما في مرحلة الشباب، وما يترتب على ذلك من معاكسات ونظرات ومسامرات فيحدث التحرش الجنسي بداية ثم نهاية مالا يحمد عقباه، قال تعالى:{قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجوهم ..... } .

* * *

الفصل الثاني

عقبات على الطريق

هل انتشر الإسلام بالسيف؟

١ - هناك قاعدة أساسية صريحة في القرآن الكريم بالنسبة للحرية الدينية تقول{**لا إكراه في الدين**}.؟؟؟

ومن أجل ذلك جعل الإسلام قضية الايمان أو عدمه من الأمور المرتبطة أساسا بمشيئة الإنسان نفسه واقتناعه الداخلى:{**فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**}. وقد لفت القرآن الكريم نظر النبى ◘ إلى هذه الحقيقة، وبين له أن عليه تبليغ الدعوة فقط وأنه لا سلطان له على تحويل الناس إلى الإسلام:{**أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين**}.

{**لست عليهم بمسيطر**}،{**فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ**}. ومن ذلك يتضح أن كتاب المسلمين المقدس يرفض رفضا قاطعا إكراه أحد على اعتناق الإسلام.

٢ - حدد الإسلام المنهج الذي يتحتم على المسلمين أتباعه في الدعوة إلى الإسلام ونشره في كل مكان. وجاء هذا المنهج في القرآن الكريم مشتملا على الدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالحسنى:{**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن**}،{**وقولوا للناس حسنا**}. وقد وردت في القرآن الكريم آيات تزيد على مائة وعشرين آية تفيد كلها أن نشر الإسلام أساسه الإقناع الهادئ، والتعليم المجرد، وترك الناس أحرارا بعد عرض الدعوة عليهم ليقبلوها أو يردوها. وبعد فتح مكة ترك الرسول ﷺ أهلها قائلا لهم:﴿**اذهبوا فأنتم الطلقاء**﴾. فلم يكرههم على الإسلام بعد الانتصار الحاسم عليهم [١].

---

(١) راجع: محمد الغزالى: مائة سؤال عن الإسلام ج١ ص١١٨ - ١٢٠ وما بعدها - دار ثابت ١٩٨٣م.

٣ - لم يحدث أن أجبر المسلمون يهوديا أو مسيحيا على اعتناق الإسلام. ومن هنا كان إعطاء الخليفة الثانى عمر ابن الخطاب لأهل بيت المقدس من المسيحيين الأمان " على حياتهم وكنائسهم وصلبانهم، لا يضار أحد منهم ولا يرغم بسبب دينه ". كما أن النبى ﷺ قد سجل في أول دستور للمدينة بعد الهجرة أن اليهود أمة مع المسلمين يشكلون جميعا المجتمع الجديد في المدينة، واعترف لهم بحقهم في البقاء على دينهم.

٤ - ترفض المستشرقة الألمانية زيجريد هونكه في كتابها (الله مختلف تماما) [١] مقولة انتشار الإسلام بالسيف (لأن التسامح العربى لعب دورا حاسما في انتشار الإسلام).

سوء فهم الإسلام في الغرب:

إن سوء فهم الإسلام في الغرب بصفة عامة يرجع أساسا إلى تشويه متعمد للإسلام منذ قرون طويلة، فالحملات الضارية ضد الإسلام اليوم ليست وليدة ظروف جديدة طارئة، وإنما هى نتيجة ترسبات قديمة

ترسخت في العقلية الغربية منذ الحروب الصليبية، بل حتى قبل الحروب الصليبية حينما فتح المسلمون الأندلس، وحينما فتح العثمانيون فيما بعد القسطنطينية وحاصروا العاصمة النمساوية فيينا.

وقد شهدت العصور الوسطى في أوروبا الكثير من الافتراءات ضد الإسلام والمسلمين، وراح اللاهوتيون النصارى في ذلك الوقت المبكر ينشرون الافتراءات والأكاذيب حول الإسلام ونبيه ﷺ.

(١) ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية تحت عنوان: " الله ليس كذلك " ونشرته دار الشروق.

وهناك في هذا الصدد الكثير من الأساطير في وصف الإسلام وهى أساطير مغرقة في الخيال وفى الضلال اخترعها الكتاب في ذلك العصر مثل أنشودة رولاند الشهيرة وغيرها من آثار أدبية تصف المسلمين بأنهم عباد أصنام وتدمغهم بأحط الأوصاف. ولم ينج من نشر مثل هذا الضلال أعلام الأدباء في الغرب مثل دانتى وفولتير وغيرهما. وقد ترسخ في العقلية الغربية أن الإسلام دين عدوانى متعصب شهوانى تواكلى.. إلخ.. ولا تزال حتى يومنا هذا تدس للأطفال في المدارس الغربية معلومات خاطئة عن الإسلام والمسلمين.

ومن هنا لا نعجب إذا وجدنا الحملات الإعلامية ضد الإسلام والمسلمين في الغرب تنشط بين الحين والحين. فهى حملات تعبر عن مدى سوء فهم الغربيين للإسلام، ومدى تأصل ما ورثوه في هذا الصدد من أوهام ترسخت في أذهانهم. ويعجب المرء عندما يجد أن الأديان الأخرى وبخاصة الأديان البشرية تعامل من جانب الغرب معاملة منصفة.. والإسلام وحده من بين كل الديانات في العالم هو الذي يهاجم ويساء إليه، وهو وحده الذي يرمى بكل النقائص.

وترتعد فرائص الغربيين حينما يسمعون عما يسمى بالصحوة الإسلامية في بعض البلاد الإسلامية [(١)]، وينظر الغرب اليوم إلى الإسلام على أنه هو العدو البديل بعد انهيار العدو التقليدى المتمثل في الشيوعية.. ولم يخف المسئولون في الغرب ذلك، بل أعلنه العديد منهم في صراحة ووضوح.. ويتضح موقف الغرب من المسلمين في وقوفه موقف المتفرج لأكثر من عامين من مأساة البوسنة والهرسك. فقد أعلن الصرب في وضوح أنهم يقومون بمهمة تاريخية وهى

(١) انظر الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي وغيره، للدكتور/ يوسف القرضاوي.

حماية أوروبا من الإسلام، وأن أوروبا إذا قالت شيئا غير ذلك فهذا من قبيل النفاق. وقد ظلت أوروبا بالفعل تنافق طوال هذه المدة وتكتفي بإصدار بيانات الشجب والاستنكار إلى أن يحقق الصرب أهدافهم.

أسباب العنف والآثار المترتبة عليه:

لكل شئ سبب وإذا عرف السبب بطل العجب ولا يعرف الداء إلا بتشخيص الدواء، أما عن أسباب العنف فمنها:

١) الجهل: فالجاهل غالبا تجده أحمقا ولا أقصد التقليل من شأن الأشخاص إلا أن المقصود بذلك الجهل لان صاحبه يجد من يقوده ويسيطر على فكره وعمله.

٢) الفقر: فالإنسان تحت ضغط الحاجة كثيرا ما يفقد نظرا لحاجته ويفعل أشياء ليس براض عنها.

٣) البيئة الفاسدة وسوء التربية: فالمكان الذي ينشأ فيه الإنسان له دور كبير في تكوين شخصيته وفكره وعقله وللأسرة دورها في التوجيه الايجابى والسلبى.فتجد الالتزام الدينى او السعى في أساليب العربدة والمخدرات وما شابهها.

٤) وسائل الإعلام: التي غالبا ما يستمد الناس منها ثقافتهم ومعرفتهم بمجريات الأمور فيحدث الشحن ويحدث مالا يحمد عقباه.

٥) العصبية عدم التوافق في الرأى: أى عدم تقارب وجهات النظر والكل يريد أن ينتصر لرأيه والكل يظن أن رأيه صوابا وأن رأى غيره خطأ.

٦) الخيانات المتنوعة: والتى تتمثل في الأجندات الداخلية والخارجية وكل طرف يغنى ليلاه دون النظر إلى مصلحة البلاد والعباد.

*** الآثار المترتبة عليه كثيرة منها:**

معصية الله جل وعلا لأن من يستخدم الفوضى والعنف لا يتقى الله فيما يفعل.

ومنها: انتشار الفوضى بين الناس فلا يستقر حال البلاد ولا العباد لمصالح شخصية، ومن الآثار أيضا كثرة الأمراض النفسية والعصبية التي تسبب خللا في الأفراد فتجعلهم غير أسوياء، ومن الآثار أيضا انتشار الفوضى فكل إنسان يفعل ما يحلو له في ظل غياب الرقابة والمسئولية وفى ختام ذلك فساد في الأرض وخراب للبلاد.

انتهى دور الرجل الأبيض:

يقول الفيلسوف الإنجليزى المعاصر (برتراند رسل):

" لقد انتهى العصر الذي يسود فيه الرجل الأبيض. وبقاء تلك السيادة إلى الأبد ليس قانونا من قوانين الطبيعة. وأعتقد أن الرجل الأبيض لن يلقى أياما رضية كتلك التي لقيها خلال أربعة قرون.. إن الروسى هو الرجل الأبيض الوحيد الذي تسنح له الفرصة لنشر نفوذه في آسيا. والشعوب الآسيوية تمقت الاستعمار، وهم لا يعتقدون أن
" للكرملين " غايات استعمارية.. لأنهم لم يجربوه.. بينما رزحوا أجيالا طويلة تحت سلطان الرجل الغربى، وأصبحوا يكرهون تلك التجربة.

ولهذا لست أعتقد أن للدول الغربية فرصة في آسيا. ولكنى أعتقد أن الهند قد تعيش في توافق مع العالم الغربى. أما العالم العربى - وكذلك مصر والباكستان - فستنحاز إلى المعسكر الشيوعى! ".

أطلق (برتراند رسل) نبوءته هذه عام ١٩٥٠. وربما يبدو أن الوقائع التي تلت ذلك - وبخاصة سقوط الصين في قبضة الشيوعية - تصدق أساس هذه النبوءة.. ولكننا نحن نلاحظ أنها نظرة قريبة الجذور سطحية المقدمات، مادية الأسباب - وهو ما لا نستغربه من مفكر غربى أيا كانت قيمة تحرره العقلى الذي اشتهر عنه.. فهو أسير عقلية وبيئة ووراثات وحضارة معينة، لا تسمح له بأن يفكر وراءها، ولا أن يخرج من إسارها، ليرى الأمر كله جملة، ومن زاوية أخرى جديدة!

إن المسألة أعمق من هذا بكثير.. ثم يضيف صاحب كتاب (المستقبل لهذا الدين).

فيقول لقد انتهى العصر الذي يسود فيه الرجل الأبيض، لأن حضارة الرجل الأبيض قد استنفدت أغراضها المحدودة القريبة، ولم يعد لديها ما تعطيه للبشرية من تصورات ومفاهيم ومبادئ وقيم، تصلح لقيادة البشرية، وتسمح لها بالنمو والترقى الحقيقيين.. النمو والترقى للعنصر الإنسانى، وللقيم الإنسانية، وللحياة " الإنسانية "..

وكلها كانت قيما محدودة تروج في فترة خاصة. وتواجه حالات محدودة وأوضاعا خاصة. ولم تكن رصيدا لبنى الإنسان يصلح للبقاء مدة أطول من الفترة التي عاشتها تلك المبادئ الموقوتة!

وكلها كانت مبتوتة عن الأصل الكبير الذي لا تقوم الأنظمة الاجتماعية، ولا تعيش المبادئ والقيم، إلا إذا انبثقت منه، وقامت عليه. الأصل الاعتقادى المرتبط بالله، والتفسير الكلى للوجود. ومركز الإنسان فيه، وغاية وجوده الإنسانى.. ومن ثم كانت قيما محدودة موقوتة لأنها في الأصل قيم مبتوتة!.. " نبات شيطانى " لا جذور له في أعماق الفطرة البشرية، لأنه ليس آتيا من المصدر الذي

جاءت منه الفطرة البشرية.

ومن أجل أنها لم تنبثق من ذلك الأصل، ولم تجئ من هذا المصدر، فإنها قامت على أساس مناقض لفطرة الحياة، ولفطرة الإنسان؛ ولم تراع في الأسس التي قامت عليها، ولا في الوسائل التي اتخذتها، ولا في الطريق التي سارت فيه.. لم تراع في هذا كله احتياجات " الإنسان " الحقيقية، المنبثقة من طبيعة تكوينه، وأصل خلقته وحقيقة فطرته وأهملت إهمالا شنيعا أهم مقوماته - التي بها صار الإنسان إنسانا - ولم تهملها فحسب، بل طاردتها في جفوة وعنف.. وكان ذلك كله بسبب تلك الملابسات النكدة، التي أثمرت ذلك " الفصام النكد " فقامت تلك الحضارة - من ثم - على أسس معادية للدين.. أسس فكرية وشعورية وواقعية.. وسارت كذلك - من ثم - في طريق معارض للحقيقة الإنسانية، وللحاجات الحقيقية لبني الإنسان، وللقيم الصحيحة التي ينبغي أن تطبع الحياة الإنسانية وتميزها.

ومن ثم أخذ " الإنسان " يشقى شقاء مريرا بالحضارة، التي قامت أصلا - أو المفروض أنها قامت أصلا - لخدمته وترقيته وإسعاده.. وحين تتناقض " الحضارة " مع " الإنسان " فالنتيجة الحتمية بعد فترة - تطول أو تقصر - من صراع الإنسان مع الحضارة، ومن الآلام والتضحيات، والخسائر والمرارات، أن ينتصر الإنسان، لأنه هو الأصل. ولأن فطرته أعمق وأبقى من أنماط الحضارة الطارئة عليها..

المستقبل لهذا الدين:

وحين يتقرر أن الإسلام هو - وحده - القادر على إنقاذ البشرية مما يحدق بها من أخطار ماحقة، تدلف إليها مقودة بسلاسل الحضارة المادية البراقة. وهو - وحده - القادر على منحها المنهج الملائم

لفطرتها ولاحتياجاتها الحقيقية. وهو - وحده - الذي ينسق بين خطاها في الإبداع المادى وخطاها في الاستشراف الروحى. وهو - وحده - الذي يملك أن يقيم لها نظاما واقعيا للحياة يتم فيه هذا التناسق الذي لم تعرفه البشرية قط إلا في النظام الإسلامى - وحده - على مدى التاريخ..

حين يتقرر هذا كله تتضح معه شناعة الجريمة التي يرتكبها - في حق البشرية كلها - أولئك الذين يوجهون الضربات الوحشية لطلائع البعث الإسلامى في كل مكان - وفى أولهم مستر دالاس الذي يصرخ ويستصرخ في طلب مثل هذا المنهج - والذين يجندون قواهم كلها، لطمس معالم المنهج الإسلامى، ومواراته عن أعين البشرية المتطلعة إلى منقذ، المتلفتة على " مخلص "، وتنفيرها منه بشتى الخدع والتمويهات والأكاذيب!

إنها جريمة بشعة - في حق البشرية كلها - البشرية المسكينة المنكوبة بهذه الحضارة المناقضة لفطرتها ولاحتياجاتها الحقيقية - كما يقرر العالم الغربى الكبير - المهددة بغلبة الفلسفة المادية عليها - كما ينذر مستر دالاس - البشرية التي تدلف إلى الهاوية، مقودة بسلاسل هذه الحضارة المادية البراقة، وهى في كل لحظة تقترب من الهوة الرعيبة، ولا منقذ لها إلا هذا الدين، الذي يحاربه أعداء البشرية، في كل مكان على وجه الأرض، بشتى الخطط والمؤامرات والأساليب!

إلا أن هذه الحرب المشبوبة على الإسلام لا تفقدنا الثقة المطلقة في أن " المستقبل لهذا الدين ".

.

هل من صحوة كهذه؟!

لقد صمد الإسلام في حياته المديدة، لما هو أعنف وأقسى من هذه الضربات الوحشية، التي توجه اليوم إلى طلائع البعث الإسلامى في كل مكان. وكافح - وهو مجرد منكل قوة غير قوته الذاتية - وانتصر، وبقى، وأبقى على شخصية الجماعات والأوطان، التي كان يحميها، وهو مجرد من السلاح!

إن الإسلام هو الذي حمى الوطن الإسلامى في الشرق من هجمات التتار؛ كما حماه من هجمات الصليبيين على السواء.. ولو انتصر الصليبيون في الشرق كما انتصروا في الأندلس قديما، أو كما انتصر الصهيونيون في فلسطين حديثا، ما بقيت قومية عربية، ولا جنس عربى ولا وطن عربى.. والأندلس قديما وفلسطين حديثا كلاهما شاهد على أنه حين يطرد الإسلام من أرض، فإنه لا تبقى فيها لغة ولا قومية، بعد اقتلاع الجذر الأصيل!

والمماليك الذين حموا هذه البقعة من التتار، لم يكونوا من جنس العرب إنما كانوا من جنس التتار! ولكنهم صمدوا في وجه بنى جنسهم المهاجمين، حمية للإسلام، لأنهم كانوا مسلمين! صمدوا بإيحاء من العقيدة الإسلامية، وبقيادة روحية إسلامية من الإمام المسلم " ابن تيمية " الذي قاد التعبئة الروحية، وقاتل في مقدمة الصفوف !

ولقد حمى صلاح الدين هذه البقعة من اندثار العروبة منها والعرب واللغة العربية.. وهو كردى لا عربى.. ولكنه حفظ لها عروبتها ولغتها حين حفظ لها إسلامها من غارة الصليبيين. وكان الإسلام في ضميره هو الذي كافح الصليبيين. كما كان الإسلام في ضمير الظاهر بيبرس، والمظفر قطز، والملك الناصر.. هو الذي

كافح التتار المتبربرين !

والإسلام هو الذي كافح في الجزائر مئة وخمسين عاما. وهو الذي استبقى أرومة العروبة فيها. حتى بعد أن تحطمت مقوماتها الممثلة في اللغة والثقافة، حينما اعتبرت فرنسا اللغة العربية - في الجزائر - لغة أجنبية محظورا تعليمها ! هنالك قام الإسلام - وحده - في الضمير، يكافح الغزاة، ويستعلى عليهم، ولا يحنى رأسه لهم لأنهم أعداؤه " الصليبيون " ! وبهذا - وحده - بقيت روح المقاومة في الجزائر، حتى أزكتها من جديد الحركة الإسلامية التي قام بها عبد الحميد بن باديس، فأضاءت شعلتها من جديد.. وهذه الحقيقة التي يحاول أن يطمسها المغفلون والمضللون، يعرفها الفرنسيون والصليبيون جيدا لأنهم " صليبيون "!

إنهم على يقين أن " الإسلام "، باستعلاء روحه على أعدائه، هو الذي يقف في طريقهم في الجزائر. ومن ثم يعلنونها حربا على " المسلمين ".. لا على " العرب " ولا على " الجزائريين "!

والإسلام هو الذي هب في السودان في ثورة المهدى الكبيرة على الاحتلال البريطانى للقسم الشمالى من الوادى (مصر) ثم القسم الجنوبى (السودان) ومراجعة إعلانات " المهدى " الكبير، ورسائل " عثمان دقنة " لكتشنر وكرومر وتوفيق، تشهد بحيوية هذا الباعث الأصيل.

والإسلام هو الذي كافح في برقة وطرابلس ضد الغزو الطليانى.. وفى أربطة السنوسية وزواياها نمت بذرة المقاومة. ومنها انبثق جهاد عمر المختار الباسل النبيل.

الدور الغائب وتغييب القضية:

لا أتصور أن أحدا يستطيع أن يشكك في صحة القول بضرورة وجدوى " الإصلاح " الجذرى في كافة المجالات - السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإعلامية - في الحالة المصرية

ولا أعتقد أن أحدا يستطيع أن ينكر أن هذه الإصلاحات كانت وما زالت مطلبا مصريا خالصا، قويا وثابتا، وممكنا ومأمولا، لإعادة مصر لدورها الريادى والرائد - بما حباها الله تعالى من إمكانات ومقومات - حتى تستطيع أن تقود بحق مسيرة الحداثة وحركة التقدم في العالمين العربى والإسلامى.

ولا أظن - للحظة - أن أحدا يستطيع أن يجزم بأن القيام بهذه الإصلاحات يعنى التفرغ الكامل لها والانغلاق التام عما عداها من القضايا، أو يعنى التناقض مع هذه القضايا. فالمجتمعات البشرية لم تكن أبدا أحادية التصرف أو انغلاقية التوجه. بل العكس تماما هو الصحيح. فالقيام بهذه الإصلاحات يعد - منطقيا وعملا - أمرا ضروريا للتصدى الجاد والفاعل لغيرها من القضايا. وبالقطع، لن يقبل أحد " يهتم بأمر المسلمين " أن تكون هذه الدعوة الإصلاحية بديلا عن الاهتمام الصادق والمستمر بقضية العالم الإسلامى الرئيسية، وهى القضية الفلسطينية، أو خيارا خبيثا لتغييبها أو تصفيتها.

وهذا بالضبط ما حاول أن ينادى به أخيرا الصحفى الأمريكى " الصهيونى "، " توماس فريدمان " (*) إذ قال: " إننا نحتاج مصر كى تلعب الدور الذي لعبته في السياسة العربية في بدايات القرن العشرين، وهو الدور الذي أناطه التاريخ بها، والذى لا بديل عنه،

(*) في صحيفة " نيويورك تايمز " يوم الأربعاء (٢٠٠٢/٦/٥م).

المتمثل في قيادة العالمين العربى والإسلامى نحو الحداثة، مع رسالة أيديولوجية لها جذور عميقة في التقاليد العربية والإسلامية، لكنها تتميز بطابعها التعددى والديمقراطى ". فمصر - على حد قوله - بمكانها الجغرافى الفريد، ومكانتها التاريخية والحضارية المتميزة، وإمكاناتها المادية والبشرية والعلمية القوية، وطاقاتها الأيديولوجية، كفيلة بأن تكون " تايوان " البحر المتوسط. لكنها رغم كل ما توافر لها من إمكانات وقدرات تعانى من مشكلات حادة وجادة ومزمنة في كافة المجالات، خاصة المجالات السياسية والاقتصادية والإعلامية على نحو سمح لدول عربية صغيرة أن تتجاوزها في هذه المجالات (١).

خططهم لتدمير الإسلام:

بعد فشل الحروب الصليبية الأولى التي استمرت قرنين كاملين في القضاء على الإسلام، قاموا بدراسة واعية لكيفية القضاء على الإسلام وأمته، وبدؤوا منذ قرنين يسعون بكل قوة للقضاء على الإسلام كما جاء في كتاب (دمروا الإسلام أبيدوا أهله).

كانت خطواتهم كما يلى:

أولا - القضاء على الحكم الإسلامى: بإنهاء الخلافة الإسلامية المتمثلة بالدولة العثمانية، التي كانت رغم بعد حكمها عن روح الإسلام، إلا أن الأعداء كانوا يخشون أن تتحول هذه الخلافة، من خلافة شكلية إلى خلافة حقيقية تهددهم بالخطر.

كانت فرصتهم الذهبية التي مهدوا لها طوال قرن ونصف هى سقوط تركيا مع حليفتها ألمانيا خاسرة في الحرب العالمية الأولى.

دخلت الجيوش الإنجليزية واليونانية، والإيطالية، والفرنسية

(١) انظر كتاب مختارات إسلامية.

أراضـي الدولـة العثمانيـة، وسـيطرت علـى جميـع أراضـيها، ومنهـا العاصمة استانبول.

ولما ابتدأت مفاوضات مؤتمر لوزان لعقد صـلح بين المتحـاربين اشترطت انجلترا على تركيا أنها لن تنسحب من أراضيها إلا بعد تنفيذ الشروط التالية:

أ - إلغاء الخلافة الإسلامية، وطرد الخليفة من تركيا ومصـادرة أمواله.

ب - أن تتعهد تركيا بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة.

ج - أن تقطع تركيا صلتها بالإسلام.

د - أن تختـار لهـا دستورا مدنيا بدلا من دستورها المستمد من أحكام الإسلام [1].

فنفذ كمال أتاتورك الشروط السابقة، فانسحبت الدول المحتلة من تركيا.

ولمـا وقـف كـرزون وزيـر خارجيـة إنجلتـرا فـي مجلـس العمـوم البريطـانى يسـتعرض مـا جـرى مـع تركيـا، احـتج بعـض النـواب الإنجليـز بعنـف علـى كـرزون، واسـتغربوا كيـف اعترفـت انجلتـرا باستقلال تركيـا، التـي يمكن أن تجمـع حولهـا الـدول الإسـلامية مـرة أخرى وتهجم على الغرب.

فأجاب كرزون: لقد قضـينا علـى تركيـا، التـي لـن تقـوم لهـا قائمـة بعـد اليـوم.. لأننـا قضـينا علـى قوتهـا المتمثلـة فـي أمـرين: الإسـلام والخلافة.

فصفق النواب الإنجليز كلهم، وسكتت المعارضة [2].

---

(١) الأرض والشعب - ص ٤٦ - مجلد أول.
(٢) كيف هدمت الخلافة - ص ١٩٠.

ثانيا: القضاء على القرآن ومحوه: لأنهم كما سبق أن قلنا يعتبرون القرآن هو المصدر الأساسى لقوة المسلمين، وبقاؤه بين أيديهم حيا يؤدى إلى عودتهم إلى قوتهم وحضارتهم.

١ - يقول غلادستون: مادام هذا القرآن موجودا، فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هى نفسها في أمان [١].

٢ - ويقول المبسر وليم جيفورد بالكراف: متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب، يمكننا حينئذ أن نرى العربى يتدرج في طريق الحضارة الغربية بعيدا عن محمد وكتابه [٢].

٣ - ويقول المبشر تاكلى:

يجب أن تستخدم القرآن، وهو أمضى سلاح في الإسلام، ضد الإسلام نفسه، حتى نقضى عليه تماما، يجب أن نبين للمسلمين أن الصحيح في القرآن ليس جديدا، وأن الجديد فيه ليس صحيحا [٣].

٤ - ويقول الحاكم الفرنسى في الجزائر بمناسبة مرور مائة عام على احتلالها: يجب أن نزيل القرآن العربى من وجودهم.. ونقتلع اللسان العربى من ألسنتهم، حتى ننتصر عليهم [٤].

وقد أثار هذا المعنى حادثة طريفة جرت في فرنسا، وهى إنها من أجل القضاء على القرآن في نفوس شباب الجزائر قامت بتجربة عملية، قامت بانتقاء عشر فتيات مسلمات جزائريات، أدخلتهن الحكومة الفرنسية في المدارس الفرنسية، وألبستهن الثياب الفرنسية، ولقنتهن الثقافة الفرنسية، وعلمتهن اللغة الفرنسية، فأصبحن كالفرنسيات تماما.

---

(١) الإسلام على مفترق الطرق - ص ٣٩.
(٢) جذور البلاء - ص ٢٠١.
(٣) التبشير والاستعمار - ص ٤٠ (طبعة رابعة).
(٤) المنار عدد ١٩٦٢/١١/٩.

وبعد أحد عشر عاما من الجهود هيأت لهن حفلة تخرج رائعة دعى إليها الوزراء والمفكرون والصحفيون.. ولما ابتدأت الحفلة، فوجئ الجميع بالفتيات الجزائريات يدخلن بلباسهن الإسلامى الجزائرى..

فثارت ثائرة الصحف الفرنسية وتساءلت: ماذا فعلت فرنسا في الجزائر إذن بعد مرور مائة وثمانية وعشرين عاما!!!؟؟

أجاب لاكوست، وزير المستعمرات الفرنسى: وماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا؟![1].

ثالثا - تدمير أخلاق المسلمين، وعقولهم، وصلتهم بالله، وإطلاق شهواتهم:

١ - يقول مرماديوك باكتول: إن المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضارتهم في العالم الآن بنفس السرعة التي نشروها بها سابقا.

بشرط أن يرجعوا إلى الأخلاق التي كانوا عليها حين قاموا بدورهم الأول، لأن هذا العالم الخاوى لا يستطيع الصمود أمام روح حضارتهم [2].

٢ - يقول صموئيل زويمر رئيس جمعيات التبشير في مؤتمر القدس للمبشرين المنعقد عام ١٩٣٥:

إن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست في إدخال المسلمين في المسيحية، فإن في هذا هداية لهم وتكريما.

إن مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله، وبالتالى لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في

(١) جريدة الأيام - عدد ٧٧٨٠، الصادر بتاريخ ٦ كانون أول ١٩٦٢.
(٢) جند الله - ص ٢٢.

حياتها، ولذلك تكونون بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعمارى في الممالك الإسلامية. لقد هيأتم جميع العقول في الممالك الإسلامية لقبول السير في الطريق الذي سعيتم له، ألا وهو إخراج المسلم من الإسلام، إنكم أعددتم نشأ لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، أخرجتم المسلم من الإسلام، ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالى جاء النشء الإسلامى مطابقا لما أراده له الاستعمار، لا يهتم بعظائم الأمور، ويحب الراحة، والكسل، ويسعى للحصول على الشهوات بأى أسلوب، حتى أصبحت الشهوات هدفه في الحياة، فهو إن تعلم فللحصول على الشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، وإذا تبوأت أسمى المراكز ففى سبيل الشهوات.. إنه يجود بكل شئ للوصول إلى الشهوات، أيها المبشرون: إن مهمتكم تتم على أكمل الوجوه [1].

٣ - ويقول صموئيل زويمر نفسه في كتاب الغارة على العالم الإسلامى:

إن للتبشير بالنسبة للحضارة الغربية مزيتان، مزية هدم، ومزية بناء.

أما الهدم فنعنى به انتزاع المسلم من دينه، ولو بدفعه إلى الإلحاد..

وأما البناء فنعنى به تنصير المسلم إن أمكن ليقف مع الحضارة الغربية ضد قومه [2].

٤ - ويقولون إن أهم الأساليب للوصول إلى تدمير أخلاق المسلم وشخصيته يمكن أن يتم بنشر التعليم العلمانى.

---

(١) جذور البلاء - ص ٢٧٥.

(٢) الغارة على العالم الإسلامى - ص ١١.

أ - يقول المبشر تكلى:

يجب أن نشجع إنشاء المدارس على النمط الغربى العلمانى، لأن كثيرا من المسلمين قد زعزع اعتقادهم بالإسلام والقرآن حينما درسوا الكتب المدرسية الغربية وتعلموا اللغات الأجنبية [١].

ب - ويقول زويمر: مادام المسلمون ينفرون من المدارس المسيحية فلابد أن ننشئ لهم المدارس العلمانية، ونسهل التحاقهم بها، هذه المدارس التي تساعدنا على القضاء على الروح الإسلامية عند الطلاب [٢].

ج - يقول جب: لقد فقد الإسلام سيطرته على حياة المسلمين الاجتماعية، وأخذت دائرة نفوذه تضيق شيئا فشيئا حتى انحصرت في طقوس محددة، وقد تم معظم هذا التطور تدريجيا عن غير وعى وانتباه، وقد مضى هذا التطور الآن إلى مدى بعيد، ولم يعد من الممكن الرجوع فيه، لكن نجاح هذا التطور يتوقف إلى حد بعيد على القادة والزعماء في العالم الإسلامى، وعلى الشباب منهم خاصة.كل ذلك كان نتيجة النشاط التعليمى والثقافى العلمانى [٣].

---

(١) التبشير والاستعمار - ص ٨٨.
(٢) الغارة على العالم الإسلامى - ص ٨٢.
(٣) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر - ج ٢ - ص ٢٠٤ - ٢٠٦ تأليف محمد حسين.

رابعا: القضاء على وحدة المسلمين:

١ - يقول القس سيمون:

إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب الإسلامية، وتساعد على التملص من السيطرة الأوربية، والتبشيرعامل مهم في كسر شوكة هذه الحركة، من أجل ذلك يجب أن نحول بالتبشير اتجاه المسلمين عن الوحدة الإسلامية (١).

٢ - ويقول المبشر لورنس براون:

إذا اتحد المسلمون في امبراطورية عربية، أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطرا، أو أمكن أن يصبحوا أيضا نعمة له، أما إذا بقوا متفرقين، فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير (٢).

ويكمل حديثه: يجب أن يبقى العرب والمسلمون متفرقين، ليبقوا بلا قوة ولا تأثير.

٣ - ويقول أرنولد توينبى في كتابه الإسلام والغرب والمستقبل (٣):

إن الوحدة الإسلامية نائمة، لكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ.

٤ - وقد فرح غابرائيل هانوتو وزير خارجية فرنسا حينما انحل رباط تونس الشديد بالبلاد الإسلامية، وتفلتت روابطه مع مكة، ومع ماضيه الإسلامى، حين فرض عليه الفرنسيون فصل السلطة الدينية عن السلطة السياسية (٤).

٥ - من أخطر ما نذكره من أخبار حول هذه النقطة هو ما يلى:

في سنة ١٩٧٠عقد مؤتمر أوربى كبير، ضم أضخم نخبة من

(١) كيف هدمت الخلافة - ص١٩٠.
(٢) جذور البلاء - ص٢٠٢.
(٣) الإسلام والغرب والمستقبل - ص ٧٣.
(٤) هانوتو - ص٢١.

المفكرين والسياسيين الأوربيين برئاسة وزير خارجية بريطانيا الذي قال في خطاب الافتتاح:

إن الحضارة الأوربية مهددة بالانحلال والفناء، والواجب يقضى علينا أن نبحث في هذا المؤتمر عن وسيلة فعالة تحول دون انهيار حضارتنا. واستمر المؤتمر شهرا من الدراسة والنقاش.

واستعرض المؤتمرون الأخطار الخارجية التي يمكن أن تقضى على الحضارة الغربية الآفلة، فوجدوا أن المسلمين هم أعظم خطر يهدد أوربا.

فقرر المؤتمرون وضع خطة تقضى ببذل جهودهم كلها لمنع إيجاد أى اتحاد أو اتفاق بين دول الشرق الأوسط، لأن الشرق الأوسط المسلم المتحد يشكل الخطر الوحيد على مستقبل أوربا.

وأخيرا قرروا إنشاء قومية غربية معادية للعرب والمسلمين شرقى قناة السويس، ليبقى العرب متفرقين.

وبذا أرست بريطانيا أسس التعاون والتحالف مع الصهيونية العالمية التي كانت تدعو إلى إنشاء دولة يهودية في فلسطين (١).

خامسا: تشكيك المسلمين بدينهم:

في كتاب مؤتمر العاملين المسيحيين بين المسلمين يقول:

إن المسلمين يدعون أن في الإسلام ما يلبى كل حاجة اجتماعية في البشر، فعلينا نحن المبشرين أن نقاوم الإسلام بالأسلحة الفكرية والروحية (٢).

تنفيذا لذلك وضعت كتب المستشرقين المتربصين بالإسلام، التي لا تجد فيها إلا الطعن بالإسلام، والتشكيك بمبادئه، والغمز بنبيه محمد ﷺ.

(١) المؤامرة ومعركة المصير - ص ٢٥.
(٢) التبشير والاستعمار - ص١٩١.

سادسا: إبقاء العرب ضعفاء:

يعتقد الغربيون أن العرب هم مفتاح الأمة الإسلامية يقول مورو بيرجر في كتابه " العالم العربى ":

لقد ثبت تاريخيا أن قوة العرب تعنى قوة الإسلام فليدمروا العرب ليدمروا بتدميرهم الإسلام.

سابعا: إنشاء ديكتاتوريات سياسية في العالم الإسلامى:

يقول المستشرق و. ك. سميث الأمريكى، والخبير بشؤون الباكستان:

إذا أعطى المسلمون الحرية في العالم الإسلامى، وعاشوا في ظل أنظمة ديمقراطية، فإن الإسلام ينتصر في هذه البلاد، وبالديكتاتوريات وحدها يمكن الحيلولة بين الشعوب الإسلامية ودينها.

وينصح رئيس تحرير مجلة تايم في كتابه " سفر آسيا " الحكومة الأمريكية أن تنشئ في البلاد الإسلامية ديكتاتوريات عسكرية للحيلولة دون عودة الإسلام إلى السيطرة على الأمة الإسلامية، وبالتالى الانتصار على الغرب وحضارته واستعماره [(١)].

لكنهم لا ينسون أن يعطوا هذه الشعوب فترات راحة حتى لا تتفجر.

يقول هانوتو وزير خارجية فرنسا: إن الخطر لا يزال موجودا في أفكار المقهورين الذين أتعبتهم النكبات التي أنزلناها بهم، لكنها لم تثبط من عزائمهم [(٢)].

(١) جند الله - ص٢٩.
(٢) الفكر الإسلامى وصلته بالاستعمار الغربى - ص١٩.

ثامنا: إبعاد المسلمين عن تحصيل القوة الصناعية ومحاولة إبقائهم مستهلكين لسلع الغرب:

يقول أحد المسئولين في وزارة الخارجية الفرنسية عام ١٩٥٢ إن الخطر الحقيقى الذي يهددنا تهديدا مباشرا عنيفا هو الخطر الإسلامى.. (ويتابع):

فلنعط هذا العالم ما يشاء، ولنقو في نفسه عدم الرغبة في الإنتاج الصناعي والفني.

تاسعا: سعيهم المستمر لإبعاد القادة المسلمين الأقوياء عن استلام الحكم في دول العالم الإسلامى حتى لا ينهضوا بالإسلام:

تحقيق هذه الخطة، وتحرر العملاق من عقدة عجزه الفنى والصناعى، أصبح خطر العالم العربى وما وراءه من الطاقات الإسلامية الضخمة، خطرا داهما ينتهى به الغرب، وينتهى معه دوره القيادى في العالم(١).

١ - يقول المستشرق البريطانى مونتجومرى وات في جريدة التايمز اللندنية، في آذار من عام ١٩٦٨:

إذا وجد القائد المناسب، الذي يتكلم الكلام المناسب عن الإسلام، فإن من الممكن لهذا الدين أن يظهر كإحدى القوى السياسية العظمى في العالم مرة أخرى (٢).

٢ - ويقول جب:

إن الحركات الإسلامية تتطور عادة بصورة مذهلة، تدعو إلى الدهشة، فهى تنفجر انفجارا مفاجئا قبل أن يتبين المراقبون من

---

(١) جند الله - ص ٢٢.

(٢) الحلول المستوردة - ص ١١.

أماراتها ما يدعون إلى الاسترابة في أمرها، فالحركات الإسلامية لا ينقصها إلا وجود الزعامة، لا ينقصها إلا ظهور صلاح الدين جديد [(١)].

٣ - وقد سبق أن ذكرنا قول ابن غوريون رئيس وزراء إسرائيل السابق:

" إن أخشى ما نخشاه أن يظهر في العالم العربى محمد جديد ".

٤ - كما ذكرنا قول سالازار، ديكتاتور البرتغال السابق:

أخشى أن يظهر من بينهم رجل يوجه خلافاتهم إلينا.

عاشرا: إفساد المرأة، وإشاعة الانحراف الجنسى.

١ - تقول المبشرة آن ميليغان: لقد استطعنا أن نجمع في صفوف كلية البنات في القاهرة بنات آباؤهن باشاوات وبكوات، ولا يوجد مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحى، وبالتالى ليس هناك من طريق أقرب إلى تقويض حصن الإسلام من هذه المدرسة[(٣)].

ماذا يعنون بذلك: إنهم يعنون أنهم بإخراج المرأة المسلمة من دينها يخرج جميع الجيل الذي تربيه، ويخرج معها زوجها وأخوها أيضا، وتصبح أداة تدمير قوية لجميع قيم المجتمع الإسلامى، الذي يحاولون تدميره. وإلغاء دوره الحضارى من العالم.

٢ - حكى قادم من الضفة الغربية أن السلطات الصهيونية تدعو الشباب العربى بحملات منظمة وهادئة إلى الاختلاط باليهوديات وخصوصا على شاطئ البحر، وتتعمد اليهوديات دعوة هؤلاء الشباب إلى الزنا بهن، وأن السلطات اليهودية تلاحق جميع

---

(١) التبشير والاستعمار - ص ٨٧.

الشباب الذين يرفضون هذه العروض، بحجة أنهم من المنتمين للحركات الفدائية.

كما أنها لا تدخل إلى الضفة الغربية إلا الأفلام الجنسية الخليعة جدا، وكذلك تفتح على مقربة من المعامل الكبيرة التي يعمل بها العمال العرب الفلسطينيون دورا للدعارة المجانية تقريبا، كل ذلك من أجل تدمير أخلاق أولئك الشباب، لضمان عدم انضمامهم إلى حركات المقاومة في الأرض المحتلة.

* السياسة الداخلية: تكون باختيار (حاكم) للمسلمين عليهم يبايعونه بالإمارة وأن يجتمعوا عليه ولا يتفرقوا أما في السياسة الخارجية يدعو غيرهم إلى الإسلام لينقذوهم من الظلمات إلى النور [١].

الجهاد وصلته بالدعوة:

الجهاد مأخوذ من الجهد - بفتح الجيم - وهو التعب، ومن الجهد - بضم الجيم - وهو القوة. فالمجاهد يبذل جهدا يحس فيه بجهد ومنه جهاد النفس والشيطان وجهاد الفقر والجهل والمرض، وجهاد البشر وعند الترمذى (المجاهد من جاهد نفسه لله عزوجل) والجهاد في سبيل الله فقد عرف في الشرع بما يراد في الحرب لإعلاء كلمة الله، ووسيلته حمل السلاح وما يساعد عليه ويتصل به من اعداد وتمويل وتخطيط، وهذا الجهاد كان شغل المسلمين الشاغل في بدء تكوين المجتمع الاسلامى، وكل أنواع الجهاد مطلوبة للنجاح في الجهاد المسلح، فلا ينتصر جيش مع الجبن والخوف ولا يقبل الله المجاهد، وإذا كان السيف لابد منه لتامين طريق الدعوة في الأزمان السابقة فإنه في هذه الأيام لا مهمة له إلا الدفاع ضد من يريدون شرا

---

(١) دين الحق.

بالإسلام وأهله، إن الدعوة الاسلامية دعوة للعرض لا للفرض قال تعالى:{**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**} [البقرة: ٢٥٦] ولرسم الخطط التي تبلغ بها الدعوة في الخارج لتنوير الجاليات الإسلامية بحقائق دينهم والرد على الشبهات التي يثيرها اعداؤهم، مع العلم بأن كل مسلم يجب أن يعتبر نفسه داعيا إلى الله، بما يحسنه من العلم وبما يتحلى به من خلق كريم، فإن القدوة الحسنة كان لها أثرها في نشر الإسلام في الذي لم تكن فيه قوة منظمة تستطيع أن تصل إلى هذه المناطق البعيدة مع التوصية بأن تكون الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة (١).

كيفية الحفاظ على السلام الدولى:

١) يتضح ذلك عن قبول الإسلام إذا عرضه الآخرون قال تعالى:{**وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ**}.

فهو يأمره بالميل إلى السلم حتى لو كان ميلهم إليه ظاهرا وفى نيتهم الغدر، فلا ترفض ذلك كى لا يكون الرفض ذريعة للعداء أو تشويها للدعوة التي جاءت للرحمة، والله معك مادمت مخلصا تحب الخير وتؤثره.

فإذا بدرت منهم بادرة تدل على أنهم لا يريدون الحرب فاقبل هذه البادرة ولا تتعجل بحربهم، قال تعالى:{**وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا**} (٢).

---

(١) بيان للناس من الأزهر الشريف - بتصرف كبير -.
(٢) النساء الآية: ٩٤.

فالإسلام ليس محبا للدماء، ولا داعيا للتشفى والانتقام، وإنما ينطلق في كل تحركاته إلى حقن الدماء وإقرار الأمن والسلام، لأن ذلك هو الجو الملائم الذي يمكن لدعوة الحق أن تنطلق فيه إلى العالم كله.

ومن هنا يحذر الإسلام من رفض الصلح وإبائه عندما يعرضه العدو، ويامر بعمل التسهيلات الممكنة لتجنب نشوب الحرب، فقد قبل الرسول ﷺ في صلح الحديبية مع المشركين في السنة السادسة - اشتراطهم رد من خرج مسلما منهم إليه، وعدم رد من كفر من المسلمين وجاء إليهم.

ولما رفض المشركون عند كتابة وثيقة الصلح أن يكتب فيها " بسم الله الرحمن الرحيم " غيرها الرسول بكلمة " باسمك اللهم " كما وافق على عدم وصف محمد برسول الله لأنه اعتراف ضمنى منهم برسالته ووافق على رجوعه عن زيارة البيت هذا العام، على الرغم من اشتياق المسلمين إليه.

الأمر الذي جعل عمر رضى الله عنه وبعض الصحابة يتأملون ويقولون: (علام نعطي الدنية في ديننا؟) لكنها تسهيلات للصلح وكراهة للحرب، فالتفضل والتأنى والتروى في مثل هذه الأمور الخطيرة يجب أن يغلب على العاطفة.

ولهذا قال العلماء: الاستجابة إلى الصلح مطلوبة إذا كانت قبل نشوب الحرب إيثارا لحقن الدماء، وأولى بها أن تسمى معاهدة، ولا ينبغى للمسلمين أن يبدءوا بطلبها من المشركين فذلك مظهر ضعف وذلة والله لا يقبل من المسلم العزيز بالله أن يظهر أمام عدوه بهذا المظهر، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى:**{فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ**

وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ} (١).

وقال بعض المفسرين: إن هذه الآية واردة فيما إذا قامت الحرب بالفعل، فالواجب على المسلمين أن يمضوا فيها حتى النهاية ولا يجبنوا عن مواصلتها مهما كانت النتيجة.

وهى في كل الأحوال حسنة إما النصر وإما الشهادة، ولكل منها أجره العظيم - وكذلك عدم البدء بالعدوان.

- انذار العدو واجب إذا كانت الحرب حتمية:

أما إذا تحتم الدخول في المعركة لأسبابها المشروعة وجب انذار العدو بها إذا كان بيننا وبينه عهدا او هدنة وقامت الشواهد على أنه يريد خيانتنا، ويتهيأ للهجوم علينا، فلا يجوز أن نأخذهم على غرة، بل لابد أن نشعرهم بأن العهد قد انتقض، ونعطيهم مهلة لمراجعة أنفسهم.

وفى ذلك قال تعالى:**{وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ}** (٢).

- مراعاة العدل والرحمة في الحروب المهمة إبان نشوب الحرب:

فإذا قامت الحرب وجبت مراعاة العدل والرحمة، فلا يتعرض بالقتال إلا لمن يقاتل بالفعل أو يشترك فيه بشكل أو بآخر وذلك لحصر الضرر في دائرة ضيقة، فالحرب ضرورة تقدر بقدرها، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى:**{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ**

---

(١) سورة محمد الآية: ٣٥.
(٢) سورة الأنفال الآية: ٥٨.

وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} [1].

ومن الاعتداء قتل من لم يقاتل من النساء والصبيان كما رواه مسلم عن النبى ﷺ في النهى عنه ومن العدوان الذي يأباه الإسلام قتل الرهبان في الصوامع كما أوصى بذلك أبو بكر رضى الله عنه أحد رؤساء الجند المتوجه إلى الشام وهو يزيد بن أبى سفيان فقال: وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له، وكذلك نهى النبى ﷺ عن قتل العسيف أى الأجير أو الخادم..

والنهى عن قتل هؤلاء مع الإضافة إلى عدم اشتراكهم في الحرب - هو انتظار ما يؤمل منهم مستقبلا من خير، فلعلهم يدخلون في الإسلام، وفيه إبقاء على القوة العاملة التي يستفاد منها التعمير.

- عدم التمثيل بالقتلى ملمح أساسى للحرب في الإسلام:

كما ينهى الإسلام عن التمثيل بالقتلى، حتى يرتفع بالحرب عن المستوى الذي لا يليق بدعاة الرحمة والعدل. وقد حز في نفس النبى ﷺ قتل المشركين لعمه حمزة والتمثيل بجثته يوم أحد، فأمره الله بالصبر وبمراعاة العدل عند القصاص فقال:**{وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ}**.

- الحفاظ على العمران قيمة من قيم الحرب في الإسلام:

ويحث الإسلام على عدم تخريب شئ من العمران ومما جاء في ذلك وصية أبى بكر ليزيد بن أبى سفيان حين بعثه إلى الشام " ولا تقطعن شجرا مثمرا ولا نخلا ولا تحرقها، ولا تخربن عامرا ولا تعقرن شاة ولا بقرة إلا لمأكله ".

---

(١) سورة النحل الآية: ١٢٦.

- مراعاة حقوق أسرى الحرب في الإسلام:

كما أوصى بذلك الرسول ﷺ بالأسرى وكان المسلمون يقدمون لهم في ذلك ما حث عليه الإسلام دون إجحاف في الحقوق أو ظلم لغيرهم.

حد الحرابة:

قال تعالى:{**إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ**} المائدة الآية (٣٣). إن مصر في أشد الحاجة إلى تطبيق حد الحرابة لردع البلطجية، وترجوه المواءمات السياسية ويدرس هذا الأمر بعناية فائقة، ويصاغ صياغة قانونية، فمن تسول له نفسه سعيا وبطشا وظلما وخرابا في البلاد ينفذ فيه حكم الله من جهة الحاكم والسلطات المختصة في البلاد، وليس التطبيق لإغراء كل إنسان يفعل ما يشاء.

القيم:

تعنى في الدولة الاستقامة والاعتدال كما في القاموس المحيط اصطلاحا معايير ومقاييس الفعل البشرى ومحددات السلوك وضابط أهداف النشاط الإنسانى، ومسيرة البشرية في المجالات جميعا.

إن أكبر التجنى على الإسلام أن يحاكم الإسلام بما يصنعه الشواذ ممن ينسبون أنفسهم إليه وإن أكبر خطأ أن يقف الإسلام في قفص الاتهام ويحاكم على أنه هو المدان والعيب فيه، إلا أن المشكلة فيمن يقوم على عرضه فالإسلام قضية عادلة في يد محام فاشل و قاض جبان.

الفكر الدينى وقضايا الأمة الإسلامية:

الإسلام والأمن في مواجهة الإرهاب والتطرف: - قضية الأمن تعد قضية جوهرية بالنسبة لكل الأمم والشعوب فإذا انعدم الأمن في مجتمع ما لا يمكن أن يتحقق لهذا المجتمع أى تقدم أو تنمية على أى مستوى من المستويات. ولا يمكن لأى شعب أن يبنى حضارة أو يحدث تطورا علميا أو أدبيا بدون الأمن. والبديل للأمن هو الخوف والتوجس والريبة والفوضى والعدوان على حقوق الإنسان فردا كان أم جماعة. ومن أجل ذلك وجدنا القرآن الكريم يهتم بإبراز قيمة الأمن لما لها من أهمية بالغة في حياة الأمم والشعوب والأفراد والجماعات. وقد ورد مفهوم الأمن في كثير من آيات القرآن الكريم في مقابل الخوف. ومن ذلك قوله تعالى:{**وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا**}.

* * *

الفصل الثالث

الأمـل المنشـود

(مصـر والأمن)

لقد استقبلت مصر الإسلام أحسن استقبال، ووقف أبناؤها بجانب المسلمين في محاربة الرومان الذين سرقوا من مصر أمنها وأمانها. ويرجع السبب في هذا الاستقبال الطيب للإسلام في مصر إلى أنهما يتفقان في الحرص على قيمة الأمن وتحققها في دنيا الواقع. ومن خلال الأمن الذي نعمت به مصر في معظم فترات تاريخها استطاعت أن تحقق إنجازات حضارية رائعة لا يزال العالم حتى اليوم يقف أمامها بكل احترام وتقدير. وقد تهيأ لمصر الأمن لتمتعها بميزات عديدة جعلت منها واحة للعلم والدين والقيم النبيلة. ومن هذه الميزات نشير بإيجاز شديد إلى ما يأتى: -

أولا: التديـن:

لقد كانت مصر عبر تاريخها الطويل حريصة كل الحرص على الاهتمام بالدين، وهذا ما جعلها تستقبل كل الأديان أحسن استقبال. والذى يتأمل الآثار المصرية القديمة التي لا تزال شاهدة حتى يومنا هذا على حب مصر والمصريين للدين يجد أن كل أثر من الآثار يعد رمزا لعنصر دينى. ولا ينطبق ذلك على المعابد الفخمة فحسب، بل يشمل ذلك كل الآثار تقريبا بما فيها الأهرامات التي تعد إحدى عجائب العالم القديم. وهذا يبين لنا عمق المشاعر الدينية لدى المصريين منذ قديم الزمان.

وقد كانت مصر سباقة ورائدة في البحث عن الدين، وكانت أول من اهتدى إلى التوحيد الذي هو أساس كل دين حقيقى. ولم تكن مصر تستطيع أن تبنى حضارتها العريقة في الزمن القديم إلا في ظل الأمن والاستقرار.

ثانيًا: منظومـة أخلاقيـة متكاملة:

لقد عرفت مصر منذ فجر تاريخها منظومة أخلاقية متكاملة تدلنا على مدى التقدم الرائع لدى المصريين في هذا المجال، الأمر الذي كان له أثره العظيم في مساعدتهم على البناء الحضارى الشامخ الذي يعرفه التاريخ. فالحضارة ليست فقط أبنية شاهقة أو تقدما في المجال المادى، وإنما هى - قبل كل ذلك - تقدم

أخلاقى من شأنه أن يدفع إلى التقدم في كل المجالات الأخرى في الحياة، وهذا يعنى أنه كلما ازداد الإحساس بالقيم والوعى بها كان ذلك دافعا إلى الصعود قُدما في درجات التحضر والرقى. وقد صدق أمير الشعراء أحمد شوقى عندما ربط بقاء الدول وانحلالها بمدى حفاظها على الأخلاق الفاضلة في قوله:

وإنمـا الأمـم الأخـلاق مـا بقيـت ::: فإن همـو ذهبـت أخلاقهـم ذهبـوا

ومن خلال تصفحنا لما ورد عن قدماء المصريين في هذا الصدد نجد أنفسنا نقف إجلالا وإكبارا لأسلافنا العظام الذين كانوا حريصين كل الحرص على القيم الأخلاقية والاجتماعية. وإن نظرة سريعة على ما جاء - على سبيل المثال - في " كتاب الموتى " الفرعونى المأخوذ عن " بردية آنى " - التي لا تزال موجودة في المتحف البريطانى والتى تشتمل على اثنين وأربعين بندا - نجد منظومة أخلاقية متكاملة شملت كل جوانب الحياة الفردية والاجتماعية والدينية (١).

(١) انظر مزيدا من التفصيل عن ذلك في كتاب: " الإنسان والقيم في التصور الإسلامى " ص ١٤٨ وما بعدها، مكتبة الأسرة ٢٠٠٤م وأيضا دار الرشاد ٢٠٠٣م.

ثالثًا: صلة مصر بالأديان:

من منطلق التدين العميق الذي كان يملأ قلوب المصريين القدماء نشأت لديهم صلة متينة بكل الأديان، وتمثل ذلك في صور وأشكال متعددة. ومن ذلك أن سيدنا إبراهيم - أبو الأنبياء - عليه السلام تزوج من السيدة هاجر المصرية التي أنجبت له سيدنا إسماعيل جد العرب، ومن سلالته جاء سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام. وقد جعلت هذه الصلة من المصريين أخوالا للعرب، وجعلت النبى يوصى بمصر خيرا في قوله:﴿**استوصوا بالقبط خيرا**﴾. كما استقبلت مصر سيدنا يوسف عليه السلام، وتقلد فيها منصبا هاما يشرف من خلاله على خزائن مصر، ويشبه هذا المنصب ما نعرفه اليوم بوزير التموين.

وفى مصر ولد سيدنا موسى عليه السلام ونشأ وتربى وترعرع في أحضانها، وشرب من نيلها واستنشق هواءها وتغذى من خيراتها محوطا بعناية الله. أما سيدنا عيسى عليه السلام فقد لجأ إلى مصر مع أمه مريم هربا من بطش الرومان، وظل في مصر مع أمه حوالى أربعة أعوام قبل أن يعود إلى أرض فلسطين. وكان مسك الختام في صلة مصر بالأديان عندما تزوج الرسول عليه الصلاة والسلام السيدة مارية القبطية المصرية الذي أنجبت له ابنه إبراهيم الذي كان أحب أبنائه إلى قلبه.

رابعًا: التفاعل الحضارى:

لقد تفاعلت مصر مع كل الحضارات والثقافات، وكان مناخ التسامح الذي عاشته ونعمت به في كل حقب التاريخ مشجعا للفكر وحافزا إليه. وقد استفاد اليونان القدماء من حضارة مصر عن طريق العديد من الفلاسفة والعلماء اليونان الذين قدموا إلى مصر للتعرف على حضارتها والاغتراف من علم علمائها، وفى مقدمة هؤلاء كان

طاليس أقدم الفلاسفة اليونان، وأفلاطون أعظم فلاسفة اليونان، وفيثاغورس وغيرهم من الأفذاذ الذين اجتمعوا بكهنة عين شمس ونهلوا من علمهم وحكمتهم وفلسفتهم. وقد تواردت على مصر حضارات عديدة أخذت منها وأعطت، ولكن حضارتها لم تذب في أى حضارة أخرى.

وكانت مصر ولا تزال بلدا متسامحا بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى، وبلدا مضيافا منفتحا على كل الثقافات والحضارات والأديان. وكانت مكتبة الإسكندرية في العالم القديم منارة للعلم والمعرفة والحضارة تشع نورها إلى كل مكان، وتستقبل الرواد من كل البقاع.والتاريخ اليوم يعيد نفسه بإعادة بناء مكتبة الإسكندرية لتثبت مصر للعالم كله أنها على وعى تام بتاريخها وحضارتها، وأنها ستظل دائما وفية لتاريخها، حاملة لواء الحضارة الإنسانية الراقية [(١)].

خامسًا: الأمن والاستقرار:

لم تكن مصر تستطيع أن تقيم حضارتها القديمة - على هذا النحو الذي يعرفه العالم كله - إلا إذا كانت بالفعل تتمتع بالأمن والاستقرار الذي يتيح الفرصة أمام بناة الحضارة لتطوير العلوم.

(١) انظر: الفكر الدينى وقضايا الأمة الإسلامية.

العنف وثورة الخامس والعشرين من يناير:

ثورة الخامس والعشرين يناير من الإعدادات الربانية للشعب المصرى لأنها معونة من الله عزوجل لهذا الشعب الذي عانى الأمَرَيَّن ولم يكن لها قائد بشرى أو فصيل سياسى، إلى أن تدخلت الأهواء السياسية والخلافات والصراعات بين الطوائف فحدث ما لا يحمد عقباه وما يندى له الجبين وما تبكى له العين دما بدلا من الدموع وأصبحت هذه الفترة التي تعقب الثورة مباشرة من أصعب الفترات التي سيصعب على المؤرخين أن يؤرخوا لها، لما فيها من تباين وتضارب في الآراء والأقوال وهى بحق فترة عصيبة في تاريخ مصر الحديث وذلك نظرا لما طرأ عليها من شغب وانفلات وعنف وقتال في كثير من محافظات وميادين مصر وكان أشهرها على الإطلاق " موقعة الجمل " وما حدث فيها وتورط أطراف عدة فيها و " مذبحة بورسعيد " والصراع الرياضى بين الطرفين، وأحداث العباسية وميدان التحرير، وشارع محمد محمود البعض يتهم النظام السابق وهو محق لمصلحتهم في ذلك، والبعض يتهم قوى خارجية أرادت العبث بالبلاد، والبعض يتهم الشرطة وتخليهم عن دورهم الأمنى، والبعض يقول أن هناك من قام بارتداء ملابس الشرطة وفعل فعلته ولولا أن الله سخر لهذا البلد (جيش مصر الباسل) وهو أكبر جيش في المنطقة العربية لكان المصير لهذه البلاد - الله وحده هو الذي يعلم ما ستكون عليه البلاد، وبالرغم من ذلك كثرت الفتن بين المسلمين والنصارى وكثر القتل وعمت الفوضى مع أن الشعب بطبيعته شعب متدين وبالفطرة يحب الخير، إلا أن هذه الأيادى المفسدة المخربة التي لا ترقب في مؤمن إلا ولا ذمة والتى تحب أن يكون لها الغلبة دائما وتريد أن تأكل والكل يموت فعلت ما لا يفعله الأبالسة بل فعلت فعلا يرقص له الشيطان طربا!! ولا حول ولا قوة إلا بالله ولكن هذا البلد محفوظ بحفظ الله له والله غالب على

أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

ثورة شعب ينشد الإصلاح:

حققت ثورة الشعب بشبابه نقطة تحول ضرورية رسم لها معالم الطريق، ولكي يحافظ الشعب على ما تم إنجازه في ثورة الشباب والشعب المصرى - وهو إنجاز عظيم، ومتغير كبير بكل المقاييس - فإنه ينبغى تعظيم بناء هذا الوطن وذلك يتأتى بالاستمرار ومواصلة تلك الروح الأبية التي أعادت اكتشاف الشخصية المصرية في طلب الحرية والكرامة والعدالة، وتقرير الشعب لأمره، وتصحيح مسيرة الوطن في مرحلة غاية في الصعوبة، وقد أظهر هذا العمل البطولى الذي صار مضرب الأمثال عن المعدن النفيس لشعب وجيش ضرب أروع الأمثلة على استدعاء قيم التساند والتضامن والتعاطف وقت الشدة، وهى من المعالم الفارقة للمصريين في كل مراحل التاريخ الممتد عبر العصور، بما يؤكد على قيم إيمانية، تضع المجتمع على مسلك حضارى تجاه الممتلكات العامة ومكتسبات الوطن عبر مسيرته الضاربة بجذورها في عمق التاريخ، والتى أعطت ملامح متفردة لشخصية مصر وريادتها في منطقتها العربية، وعالمها الإسلامى، ومكانتها في المجتمع الدولى.

لقد سطر أبناء الوطن عبر أيام قليلة مضت قيم التضحية والفداء والإيثار وهى قيم نبيلة سطرها أبناء أرض الكنانة، والتى توجتها ثورة ٢٥ يناير إباء وشموخا وأرسلت رسالة لكل العالم على أن المصريين ماضون بعزيمة وصبر ومثابرة من أجل مستقبل ناهض لكل بنى مصر.

وسبيل ذلك ليس بالأمانى وإنما يحتاج إلى مواصلة البناء والعطاء بلوغا إلى تنمية الشعب والمجتمع والدولة، وإصلاح فساد فاحت رائحته، واستفحل خطره، الأمر الذي عوق المسيرة وحجب إنجاز

المصريين وريادتهم في بلادهم والعالم من حولهم عالم العروبة والإسلام [1].

ولن يتحقق ذلك بإطلاق الشعارات، أو تعالى الصيحات، وتعطيل دولاب العمل، وإنما يقتضى إثبات الوجود في التنمية والبناء، وحسب شباب مصر وهم قوة ضاربة عبرت عن ضمير مصر في مرحلة من أصعب مراحل (الكنانة) أن نتذكر أن دم المسلم أعظم عند الله حرمة من الكعبة المشرفة.

الإصلاح مسئولية الجميع:

لقد حدد الحق تبارك وتعالى مهمة الإنسان الحضارية في هذا الكون بقوله:{**هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**} [هود: ٦١]، وهذا تكليف من الله للإنسان بإعمار الأرض وصنع الحضارة فيها، وتمهيدها وتحويلها إلى حال يجعلها صالحة للعيش فيها والانتفاع بخيراتها وأمر الله تعالى بالمحافظة على الأرض ببقاء الصلاح فيها، ومنع الفساد عنها، فقال عز وجل:{**وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**} [الأعراف: ٨٥] وقد بين الله تعالى أن طاعته والالتزام بمنهجه هو الصلاح وأن القائمين بها هم المصلحون، فقال جل شأنه:{**وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ**} [الأعراف: ١٧٠]، ويترتب على ذلك قضية الثواب والعقاب التي يشير إليها القرآن الكريم

في قوله:{**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**} [فصلت: ٤٦].

---

(١) من مقال الدكتور/ محمد الشحات الجندى

مفهوم الإصلاح:

قال ابن منظور: الإصلاح نقيض الإفساد، وأصلح الشئ بعد فساده أقامه، وأصلح الدابة أحسن إليها فصلحت، والصلح تصالح القوم بينهم، والصلح: السلم، وقد اصطلحوا وصالحوا وتصالحوا وأصلحوا واصالحوا، قلبوا التاء صادا أو أدغموها في الصاد بمعنى واحد.

الإصلاح في القرآن والسنة وأنواعه:

ورد الإصلاح في القرآن الكريم في مواضع متعددة، منها قوله تعالى على لسان سيدنا موسى عليه السلام، يوصى أخاه هارون:{**وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ**} [الأعراف: ١٤٢]، وهو هنا بمعنى الرفق، ومنه قوله تعالى على لسان نبى الله شعيب عليه السلام:{**إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**} [هود: ٨٨].

وهو هنا بمعنى الإحسان ومنه قوله تعالى:{**وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا**} [الأعراف: ٨٥]، قال المفسرون: الإصلاح هنا الطاعة ضد الإفساد وهو المعصية، ومنه قوله تعالى:{**وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ**} [هود: ١١٧].

والإصلاح هنا بمعنى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

وورد الإصلاح في السنة في قول الرسول ﷺ :﴿**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟**﴾ قالوا بلى، قال:﴿**صلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هى الحالقة**﴾ (رواه أبو داود والترمذى).

لا يصلح آخر الأمة إلا بما صلح به أولها:

فمن أراد صلاح المجتمع بغير الطريق والوسائل والعوامل التي صلح بها الأولون فقد غلط وقال غير الحق، فليس إلى غير هذا من سبيل. وإنما السبيل إلى إصلاح الناس وإقامتهم على الطريق السوى هو السبيل الذي درج عليه نبينا ﷺ، ودرج عليه الصحابة ثم أتباعهم بإحسان إلى يومنا هذا، وهو العناية بالقرآن الكريم، والعناية بسنة الرسول ﷺ ودعوة الناس إليهما والتفقه فيهما ونشرهما بين الناس على علم وبصيرة، ففيها البيان لكل شئ: ففيهما بيان للمحارم والحدود التي حدها الله ورسوله ﷺ حتى يقف عندها، كما قال الله تعالى:{**تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا**} [البقرة: ١٨٧]، وقال تعالى:{**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**} [النحل: ٨٩]، وقال تعالى:{**وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا**} [النور: ٥٤] وقال تعالى:{**قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**} [المائدة ١٥، ١٦]، وقال تعالى{**فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**} [الأعراف: ١٥٧] وقال تعالى:{**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**} [النور: ٦٣] وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول:﴿**أنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافات كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**﴾ (رواه أبو داود والترمذى)

وقال الرسول ﷺ :﴿**إن الدين بدأ غريبا ويرجع غريبا، فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس بعدى من سنتى**﴾ (رواه الترمذى) [1].

---

(١) من مقال الدكتور/ ربيع خليفه عبد الصادق

الحريـة أم الفوضى:

الحريــة: هــى المقابـل المنــاقض للعبوديــة. والحــر: ضـد العبـد والرقيق.. وتحرير الرقبة: عتقها من الرق والعبوديـة.. فالحريـة هـى رخصة الإباحة التي تمكن الإنسـان من الفعل أو الترك المعبر عن إرادته، التي هى شوق إلى الفعل أو الترك، في أى ميدان من ميـادين الفعل، وبأى لون من ألوان التعبير الحر.

وفـى المصـطلح القرآنـى مقابلـة بـين الحـر والعبـد:{**كُتِـبَ عَلَـيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى**} [سورة البقرة الآية ١٧٨].

ومـن المـأثورات الإسـلامية كلمـات الفـاروق عمـر بـن الخطـاب رضى الله عنه " متى استعبدتم النـاس وقد ولـدتهم أمهـاتهم أحـرارا؟! "..

وهناك فارق كبير بين الحريـة والفوضـى التـي عمت الكثيـر من أرجاء البلاد [(١)].

وكما أن الحر هو الخالى من القيود الماديـة والقانونيـة التـي تحـد مـن حريتـه، فهـو أيضـا المتحـرر مـن سـلطان الصـفات والعـادات الذميمة، لأنها تستعبد صـاحبها.. وفـى القرآن الكريم:{**إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**} [سورة آل عمران الآية ٣٥].

أى حـرا معتقـا مـن أمـر الـدنيا والحـرص علـى شـهواتها.. وفـى الحديث النبوى الشريف: " تعس عبد الـدرهم، تعس عبد الـدينار ".. رواه البخارى وابن ماجه.. ذلك لأن الحـريص عبـد لمـا هـو حـريص عليه[(٢)].

---

(١) البداية والنهاية في الخطب المنبرية للكاتب.

(٢) من مقال الدكتور / محمد عمارة.

ولما كان الإسلام، في جوهر رسالته، هو إحياء للإنسان، يحرر ملكاته وطاقاته من استعباد الطواغيث، فيجعل هذه الملكات والطاقات خالصة لله سبحانه وتعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**} [سورة الأنفال الآية ٢٤] كانت رسالته، في العقيدة والشريعة، تحريرا للإنسان، وذلك حتى تتحرر فيه هذه الكلمات:{**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ**} [سورة الأنفال الآية ١٥٧].

ولقد تميزت نظرة الإسلام إلى " الحرية " عن نظرات كثير من الفلسفات والأنساق الفكرية الأخرى..

* فالحرية، في النظرة الإسلامية، ضرورة من الضرورات الإنسانية، وفريضة إلهية وتكليف شرعى واجب.. وليست مجرد " حق " من الحقوق الإنسانية، يجوز لصاحبها أن يتنازل عنها إن هو أراد!! فالرضا بالعبودية هو امتهان لمن كرمه خالقه، واستخلفه في حمل أمانة استعمار الأرض، ورفع مقامه حتى على الملائكة المقربين!.. وفيه ظلم للنفس، سيحاسب عليه ذلك الذي يرضى لنفسه الرق والاستعباد!..

* والحرية، في الإسلام، هى ضرورة إنسانية لمطلق الإنسان، وليس للإنسان المسلم وحده.. وعمر ابن الخطاب رضى الله عنه عندما استنكر استعباد الناس - " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟! " - كان " الناس " الذين يتحدث عنهم غير مسلمين.

وإذا كان الدين والتدين هو أغلى وأول ما يميز الإنسان، فإن تقرير الإسلام لحرية الضمير في الاعتقاد الدينى لشاهد على تقديس حرية الإنسان في كل الميادين.. فهو حر حتى في أن يكفر، إذا كان الكفر هو خياره واختياره، طالما أنه لا ينشر كفره بين الناس، فيعتدى على حريتهم في الاعتقاد الدينى الذي جعلوه مقوما من مقومات الاجتماع الإنسانى:**{لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}** [سورة البقرة الآية ٢٥٦]،**{قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ}** [سورة هود الآية ٢٨]،**{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}** [سورة يونس الآية ٩٩].

لقد أراد الله للناس الهدى والإيمان. لكنه جعل لهم، مع هذه الإرادة الإلهية، الحرية والتخيير والتمكين.. فكان انتصار الإسلام للحرية الإنسانية في كل الميادين..

* كذلك تميز الإسلام بمذهبه في " نطاق " الحرية الإنسانية و " آفاقها " و " حدودها " تبعا لتمييز فلسفته في مكانة الإنسان في هذا الوجود..

فالإنسان خليفة عن الله سبحانه وتعالى في عمارة الوجود.. ومن ثم فإن حريته هى حرية الخليفة، وليست حرية سيد هذا الوجود.. إنه حر، في حدود إمكاناته المخلوقة له - والتى لم يخلقها هو! -.. وهو حر في إطار الملابسات والعوامل الموضوعية الخارجية، التي ليست من صنعه، والتى قد يستعصى بعضها على تعديله وتحويره وتغييره!.. هو حر، في إطار أشواقه ورغباته وميوله، التي قد لا تكون دائما وأبدا ثمرات حرة وخالصة لحريته وإرادته الخالصة،

وإنما قد تكون أحيانا ثمرات لمحيط لم يصنعه هو، ولموروث ما كان له إلا أن يتلقاه!..

ثم، إنه " الخليفة والوكيل والنائب: الحر " الذي يجب أن تظل حريته في إطار عقد وعهد الاستخلاف الالهى له.. والذى تمثل الشريعة الإلهية مواده وبنوده وأطر حاكميته.. فهى عقد وعهد الاستخلاف والتوكيل..

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد سخر للإنسان ظواهر الطبيعة وقواها.. ليتحرر من العبودية لها.. فإنه قد أقام - أو أراد - إخاء بين قوى الإنسان وقوى الطبيعة، لتمتزج حريته بهذا التسخير المتبادل.. فهو أخ للطبيعة، بين قواه وقواها تسخير متبادل، هو أشبه ما يكون بالارتفاق، كل مرفق مسخر للمرفق الآخر، الأمر الذي يجعل الحرية الإنسانية حرية المخلوق.. المسئول.. لا حرية الذي لا يسأل عما يفعل.. الفعال لما يريد (١)!

الحوار معناه ومفهومه:

الحوار لغة المستقبل وهى التي تليق بالإنسان وأخيه الإنسان من أى لون ومن أى فكر أو دين، فالحوار يؤدى إلى لغة التفاهم، والتفاهم يوصل إلى السلام، وأعنى به السلام بين الأديان، وخاصة لمكانة الأديان وأهميتها في نفوس البشر، وكذلك بين الفرقاء في داخل هذه الأديان كما أنه يجب ألا يغيب عن واقعنا التأكيد على أن الحوار بين الأديان هو أساس الحوار بين الحضارات، وهو السبيل الأمثل لتحقيق التساكن الحضارى، ورد الاعتبار للدين في الحياة العامة للبشر، وصد أخطار الإلحاد والمادية، وضمان قاعدة

(١) من مثال للدكتور / محمد عمارة.

الاستقرار والأمان للمجتمع البشرى من خلال القيم الأخلاقية لهذه الأديان السماوية حتى يتحقق التوازن النفسى والفكرى مع طبيعة البشر، وتوطيد دعائم الحضارة الإيمانية المنسجمة مع طبيعة الأشياء، وضوابط الكون [1].

مبدأ الحوار في الإسلام:

من قيم الإسلام الأساسية ومبادئه الأخلاقية البحث عن الحقيقة والانتصار لها ودعمها بالحجج والبراهين التي تؤدى إلى التفاف الناس حولها بإرادتهم وحريتهم دون خوف أو إكراه.

وهذا بالطبع لا يتم إلا بالحوار الإيجابى الذي رسم القرآن الكريم طريقه منذ نزوله على خاتم الأنبياء والمرسلين " محمد بن عبدالله " صلوات الله وسلامه عليه، والتزم به هو وصاحبه رضوان الله عليهم في كل مواقفهم وقضاياهم، مع المشركين والمعاندين في لين ويسر، ومع المؤمنين والمصدقين في حب وصفاء ومودة.

إن الحاسة الخلقية انبعاث داخلى فطرى، وإن القانون الأخلاقى قد طبع في النفس الإنسانية منذ نشأتها{**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**}.

الإسلام دين الرفق:

إن الإسلام هو دين الرفق، حث عليه، ودعا إليه، وهو يعنى اللين في القول والفعل والأخذ بالأيسر والأسهل وهو ضد العنف.

ويكون الرفق واضحا بأجلى معانى صوره في سيدنا رسول الله ﷺ، فقد اتسم بالرفق والرحمة واللين.

قال الله تعالى:{**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظ**

(١) انظر حوار الحضارات من أجل الإنسان.

الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [سورة آل عمران الآية ١٥٩].

* وقد حث الرسول ﷺ على الرفق موضحا أنه يكون خيرا وزينة في الحياة، ويجملها ويكملها، عن عائشة - رضى الله عنها - عن النبى ﷺ قال:﴿**إن الرفق لا يكون في شئ إلا زانه ولا ينزع من شئ إلا شأنه**﴾ رواه مسلم.

ومن اتسم بالرفق حظى بالخير كله، ومن حُرم منه حُرم من الخير كله عن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال:﴿**من أعطى حظه من الرفق فقد أُعطى حظه من الخير، ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من الخير**﴾ رواه الترمذى في جامعه.

* وقد طبق الرسول ﷺ الرفق في العبادة وفى الصلاة التي جعلت قرة عينه فيها فكان يريد التطويل في الصلاة ولكنه يختصرها رفقا ببكاء طفل صغير ورفقا بقلب أمه، عن عثمان بن أبى العاص الثقفى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال له:﴿**أم قومك**﴾ قال: قلت: يا رسول الله إنى أجد في نفسى شيئا فقال: ادنه فجلسنى بين يديه ثم وضع كفه في صدرى بين ثديى ثم قال: تحول فوضعها في ظهرى بين كتفى ثم قال:﴿**أُم قومك فمن أم قوما فليخفف فإن فيهم الكبير وإن فيهم المريض وإن فيهم الضعيف وإن فيهم ذا الحاجة وإذا صلى أحدكم وحده فليصل كيف شاء**﴾رواه مسلم.

وعن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال:﴿**إنى لأدخل في الصلاة أريد إطالتها فأسمع بكاء الصبى فأتجوز مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه**﴾ رواه البخارى ومسلم.

ودعا الرسول ﷺ على من يشق على المسلمين أن يشق الله عليه. ودعا لمن يرفق بهم أن يرفق الله به. عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتى هذا:﴿**اللهم من ولى من أمر المسلمين شيئا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولى من أمر المسلمين شيئا فرفق بهم فارفق به**﴾ رواه مسلم.

* ودعا الإسلام إلى الرفق بالجاهلين، فمن أخطأ في أمر جاهلا الحكم فإن الإسلام يأمرنا أن نعلمه وأن نوجهه ولا نُعنفه [١]، فالإسلام تربية للأفراد وحماية للأعراض.

الإسلام والسلام الاجتماعى:

لأسس الإسلام دور مهم في إرساء السلام الاجتماعى بما يعنى ترابطه، والتعاون على الخير بين أفراده، بالإضافة إلى أن الإيمان يُرسى قواعد الصلة بين العبد وربه بما يعنى ذلك التوفيق في كل نواحى الحياة في ظلال رضا الله عز وجل، سواء أكان ذلك في السلام أم في غيره، وسواء أكان ذلك في السلام عاما أم في السلام الاجتماعى خاصة، والأخير هو ما نعنى ببيانه في هذه الكلمات.

ونعنى بالإسلام هنا أركانه الخمسة التي بنى عليها كما بين الحديث الشريف وهى: الشهادتان والصلاة والزكاة والصوم والحج، كما جاء في الحديث الشريف: " بنى الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلا ".

(١) من مقال الدكتور/ أحمد عمر هاشم

الشهادتان:

والشهادتان تعنيان الإيمان بالله عز وجل ورسوله، وبكل ما جاء من عند الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسول ﷺ.

ومن شُعب الإيمان ما يحقق السلام الاجتماعي مثل الأخوة في الدين{**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**} [سورة الحجرات الآية ١٠] ومحبة المؤمن ما يحبه لنفسه: " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " متفق عليه.

والتوجيه النبوى الشريف في قوله ﷺ :﴿**لا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا**﴾ (متفق عليه) وقوله ﷺ :﴿**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه**﴾ (متفق عليه)، وقوله ﷺ :﴿**انصر أخاك ظالما أو مظلوما**﴾(البخارى ٦٩٥٢)،

ونصر الظالم كما جاء في السنة أن يكفه عن ظلمه بما يعنى عدم إيذاء الآخرين بهذا الظلم (البخارى رقم ٦٩٥٢).

كما جاء في القرآن الكريم والسنة حسن الجوار، والوصية بالجار بما يؤدى إلى السلام بين الجيران:﴿**ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**﴾ (متفق عليه).

وجاء فيها حسن معاملة الزوج لزوجته، ومعاملة الزوجة لزوجها بما يؤدى إلى التوافق وحسن المودة بين الأسرة، قال تعالى: {**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**} [سورة النساء الآية ١٩].

والبر بالوالدين بما يحقق الانسجام بين الآباء والأبناء:{**وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**} [سورة الإسراء الآية ٢٣]. وأوصى الرسول ﷺ بمن يعيشون معنا من غير المسلمين خيرا. وكان ذلك بيانا لقول الله عز وجل:{**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ**

وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [سورة الممتحنة الآية ٨]. وهذا يحقق السلام بين المسلمين وغيرهم من أهل وطنهم.

الصلاة وإسهامها في تحقيق السلام الاجتماعى:

وإذا ما انتقلنا إلى الصلاة وإسهامها في السلام الاجتماعى نجد تشريع صلاة الجماعة والجمعة والتقاء الأفراد فيها مرات على مائدة ضيافة الرحمن مرات عدة في اليوم وكل يوم، وهذا يغرس جانب المحبة بعضهم مع بعض، فهم لا يلتقون إلا محبة في الله تعالى وتلبية لندائه سبحانه وتعالى [١].

كما يتفقد بعضهم بعضا، ويقف بعضهم على حاجة بعضهم الآخر، وينشأ الحب والتعاون بينهم على البر والتقوى وكل هذا يحقق السلام الاجتماعى. فالسلام تحية مبرورة والإسلام دين التسامح.

التسامح والحوار:

إن الحوار في معناه الصحيح لا يقوم ولا يؤدى إلى الهدف المنشود إلا إذا كان هناك احترام متبادل بين أطراف الحوار، واحترام كل جانب لوجهة نظر الجانب الآخر، وبهذا المعنى فإن الحوار يعنى التسامح واحترام حرية الآخرين، واحترام الرأى الآخر لا يعنى بالضرورة القبول به، وليس الهدف من الحوار مجرد فك الاشتباك بين الآراء المختلفة أو تحييد كل طرف إزاء الطرف الآخر، وإنما هدفه الأكبر هو إثراء الفكر وترسيخ قيمة التسامح بين الناس، وتمهيد الطريق للتعاون المثمر فيما يعود على جميع الأطراف بالخير، وذلك بالبحث عن القواسم المشتركة التي تشكل

(١) من مقال الدكتور / رفعت فوزى عبدالمطلب.

الأساس المتين للتعاون البناء بين الأمم والشعوب، والحوار بهذا المعنى يعد قيمة حضارية ينبغى الحرص عليها والتمسك بها وإشاعتها على جميع المستويات.

والوعى بذلك كله أمر ضرورى يجب ان نعلمه للأجيال الجديدة، وبصفة خاصة عن طريق القدوة وليس عن طريق التلقين. فالواقع المؤلم أنه كثيرا ما تحدث مشادات عنيفة تخرج عن نطاق الموضوعية، وربما يتطور الأمر إلى شجار وتماسك بالأيدى بين الأطراف المختلفة في الرأى، لأن كل جانب يريد فرض رأيه بشتى السبل[١].

ولا يقتصر ذلك على المستويات الدنيا في المجتمع، بل ينسحب على شريحة لا يستهان بها بين المشتغلين بالفكر وبالثقافة بصفة عامة، حيث يصل الأمر في أحيان كثيرة إلى حد الخروج عن مناقشة الفكر بالفكر إلى الشتائم والتجريح الشخصى الذي لا صلة له بالنقاش الموضوعى وإن دل هذا الخروج عن الموضوعية على شئ فإنما يدل على ضحالة في الفكر وقصور في الحجة وفقر في المنطق.

وهذا الخروج عن الموضوعية في الحوار على هذا النحو أمر لا يليق بالإنسان الذي كرمه الله وفضله على بقية الكائنات، وميزه بالعقل، وجعله خليفة في الأرض ليعمرها بالخير، ويملأها بالعلم، وينشر فيها الحق والعدل والأمن والسلام.

ولا جدال في ان الحوار قد أصبح في عصرنا الحاضر أكثر إلحاحا من أي وقت مضى، بل أصبح ضرورة من ضرورات العصر، ليس فقط على مستوى الأفراد والجماعات، وإنما على

(١) انظر: التسامح في الحضارة الاسلامية

مستوى العلاقات بين الأمم والشعوب المختلفة.

وإذا كانت بعض الدول في القرن الجديد لا تزال تفضل شريعة الغابه بدلا من اللجوء إلى الحوار فإن على المجتمع الدولى أن يصحح الأوضاع، ويعيد مثل هذه الدول الخارجة على القيم. هذا وقد فصل الشيخ عبد المتعال الصعيدى القول حول التجديد في الإسلام في كتابه (المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر) فليراجع هناك.

الإسلام والاستقرار النفسي:

إن صاحب الشريعة الإسلامية هو محمد بن عبد الله الأمي العربي، الذي أرسله الله تعالى إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا؛ ليجمع بهديه القلوب المتفرقة، والنفوس القاسية، ويزيل التنازع بين الناس، ويأمر بطاعة الله وتوحيده، وينهى عن معصيته والإشراك به، ويعرفهم ما يتعلق بحقوق العباد لتقديرها واحترامها، فيتبعوا في شأنها شرعه المسموع، وينقادوا إلى دينه المتبوع، دين الفطرة والعقل والمنطق والبساطة واليسر.

ولما جاء رسول الله قومه برسالته كان موقفهم منه موقف الأمم السالفة من أنبيائها ورسلها، فصدقه فريق هداه الله، وكذبه فريق حقت عليه الضلالة، وقيل له ما قيل للرسل من قبله. وكانوا حينما بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم، قالوا: لعن الله اليهود والنصارى، لو أتانا رسول لنكونن أهدى من إحدى الأمم.**{فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا * اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ}** [(١)].

وكيف يخضع أبو جهل أو عقبة بن ربيعة أو غيرهما من كبار قريش إلى محمد بن عبد الله، ذلك الفتى اليتيم الفقير الذي لا يملك كفاف أهله؟ وكيف يصبحون منقادين إلى شريعته وهم سادة قومهم وقادتهم، وذوو الكلمة العليا فيهم، وهو لا جاه له، ولا مال ولا سلطان، ولا سليقة في الشعر، ولا شئ مما يكسبه المكانة والمهابة حتى يرقى الى مستوى الآمر الناهى، الذي يأمر وينهى؟ وهل يليق بهم أن يتدينوا بدين يسوى بين الملوك والسوقة، والأغنياء والفقراء في الحق؟ بل عجبوا ان جاءهم في زمنهم، واستدلوا بكونه إنسانا من البشر على كذبه في ادعاء الرسالة؛ لاعتقادهم أن الرسول لا يكون

---

(١) انظر كتاب روح الإسلام.

إلا ملكا.

ولما تقدم إليهم بمعجزته التي لا مثيل لها - وهى القرآن الكريم - قالوا:{**إِنْ** [1] **هَذَا إِلَّا إِفْكٌ** [2] **افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ**...}. وقالوا:{**أَسَاطِيرُ** [3] **الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**}.

{**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ** [4] **هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ**}.

{**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا**} [5].

وقد تحداهم الرسول الأمين بأن يأتوا بسورة من مثله، فأعجزهم، ولم يستطيعوا، وعلموا حق العلم أن القوة البشرية دون مكانته من البلاغة، فكان من الواجب عليهم أن يعدوا هذا العجز دليلا على أن القرآن من عند الله، جاء على لسان رسول الله، محمد بن عبد الله، لكنهم لم يفعلوا، ولم يعترفوا بإعجاز القرآن،{**بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ**} [الأنبياء: ٥].

وقد عومل رسول الله ﷺ معاملة كلها قسوة وغلظة في بدء دعوته، فحماه عمه أبو طالب، وحمى دعوته. وبعد أن توفى عمه أبو طالب اضطر إلى أن يعرض نفسه على القبائل لإيوائه وحمايته، حتى أمره الله بالهجرة إلى أهل غير أهله، ودار غير داره، بعد أن أجمع أعداؤه من قريش وتآمروا على قتله، ليستريحوا منه؛ فلم يفلحوا.

---

(١) ما هذا

(٢) كذب اختلقه.

(٣) الأساطير: الأباطيل. جمع أسطورة.

(٤) إن نافية: بمعنى ما.

(٥) سورة الفرقان الآية (٦٠).

ومع ذلك كله لم تكف قريش عن إيذائه، وطلبه وتتبعه حيثما كان، بل غاظهم كثيرا أنه وجد دارا يهاجر إليها، فأعدوا العدة لقتاله في دار هجرته، ليخرجوه منها كما أخرجوه.

العدل والمساواة لأهل الذمة:

لم يفرق الإسلام بين المسلم والذمى في المعاملات العامة لأن الجميع سواسية أمام القانون لا تفضيل ولا محاباة كما حدث بين (يهودى وعلى بن أبى طالب) واختصما عند الفاروق عمر رضى الله عنه، وهذه بعض النماذج للأحكام التي يتساوى فيها المسلم والذمى:

١) هما سواء في القصاص، فالنفس بالنفس والعين بالعين....، وهما سواء في الديانات والضمان والتعذير.

٢) وفى الأحوال الشخصية أبيح للذمى كل زواج يقره دينه وإن خالف الدين الاسلامى، وأبيح كل طلاق وإن لم يتفق مع الإسلام، وليس للمسلم أن يتعرض للذميين في شئ من هذا إلا إذا احتكموا إليه.

٣) سوى الإسلام في الحرمان من الميراث بين الذمى والمسلم، فلا يرث المسلم قريبه الذمى ولا يرث الذمى قريبه المسلم.

٤) أباح الإسلام للمسلمين أن يأكلوا من طعام أهل الكتاب وذبائحهم بشرط أن يكون المذبوح مما يحل للمسلمين أكله.

٥) أحل الإسلام للمسلم أن يتزوج من النصرانية أو اليهودية، وتبقى على دينها ولها على زوجها الحقوق كالمسلمة، أما زواج المسلم بمشركة فإنه باطل.

٦) الإسلام كفل الحرية الدينية لأهل الكتاب، فهم أحرار في

عقيدتهم وعبادتهم وإقامة شعائرهم في كنائسهم.

وقد ذكر الفقيه الأصولى شهاب الدين القرافي (العلاقة بين المسلم وغير المسلم) شارحا لها معنى البر الذي أمر الله به المسلمين في شأن أهل الذمة! (الرفق بضعيفهم، وسد غلة فقيرهم، وإطعام جائعهم، وكساء عاريهم، ولين القول على سبيل اللطف لهم، والرحمة، لا على سبيل الخوف والذلة واحتمال أذيتهم في الجوار، والدعاء لهم بالهداية وأن يجعلوا من أهل السعادة) [١].

أهل الذمة في المجتمع الإسلامى:

كثر في الآونة الأخيرة الكلام عن وضع غير المسلمين في المجتمعات الإسلامية، وصوبت السهام من كل اتجاه إلى عقيدة المسلمين، وألصقوا المسلمين التهم الباطلة والدعاوى الزائفة بما يعانيه غير المسلمين في المجتمعات الإسلامية، وأن هؤلاء الذميين يعيشون تحت وطأة قوانين ظالمة ونظم جائرة.

وأعلن بعض أهل الغرب والشرق على حد سواء حربا لا هوادة فيها محاولين بذلك تشويه صورة الإسلام وأهله، مدعين كذبا وزورا في كل وسائل الإعلام اضطهاد المسلمين لأهل الذمة، ومدى ما يعانيه أهل الذمة من عنت ومشقة.

وسوف نحاول في الكلمات التالية كشف زيف هذه الدعاوى الباطلة، وتفنيد أقوالهم وذلك من واقع حقائق الإسلام ومبادئه فضلا عن استعراض أحوال أهل الذمة منذ مبعث سيدنا رسول الله ﷺ والإشارة إلى أوضاعهم في عهد الرسالة والراشدين وفى الدول الإسلامية بشكل عام ثم تركز القول على مصر، ذلك الإقليم الذي

---

(١) انظر حوار الحضارات من أجل الإسلام.

دخله المسلمون وأهله نصارى وظل بعضهم على دينه إلى يومنا هذا، لم يكرههم أحد على ترك دينهم والدخول في الدين الجديد؛ فهى تجربة واقعية ماثلة أمام أعين الناس منذ أربعة عشر قرنا؛ في هذه التجربة يمارس النصارى حياتهم الطبيعية وشعائرهم في حرية تامة ومساواة كاملة مع المسلمين؛ فالعنصران يشكلان نسيجا متلاحما عبر العصور؛ إخوانا متحابين في السراء والضراء وصفا واحدا ضد من يحاول النيل من أرض الكنانة.

حقائق إسلامية: وبداية نشير إلى بعض الحقائق المتعلقة بالإسلام؛ تلك الحقائق التي يعلمها علماء الغرب والشرق على حد سواء وخاصة المهتمون منهم بالتراث الإسلامى والثقافة الإسلامية.

ومن هذه الحقائق عمومية رسالة الإسلام، فالقرآن الكريم وهو دستور المسلمين والمصدر الأول في التشريع يقرر حقيقة أن النبى ﷺ مبعوث إلى الناس كافة يقول الله تعالى:**{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}**.

وفى موضع آخر قوله تعالى:**{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}**.

ومن مبادئه تكريم بنى الإنسان وتحرير عقولهم وأفئدتهم من الخرافات والأوهام والاستعلاء بهم عن الذلة والخضوع لغير الله والاتجاه بهم إلى عبودية الله وحده الذي خلقهم واستخلفهم في هذه الأرض وسخر لهم.

سائر خلقه قال تعالى:**{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا}**.

وهكذا يرتبط اختيار الإسلام لاحترام الذات البشرية وتوخيه سعادتها والسمو بها بالقاعدة الأساسية في التصور الإسلامى وهو التوحيد المطلق الذي هو محور النظرة إلى الكون والحياة والإنسان [١].

ومن حقائق الإسلام أيضا اعترافه بالأديان الأخرى حتى لو كانت هذه الأديان لا تعترف بالإسلام، والمثال على ذلك اليهودية والمسيحية فهما في نظر الإسلام دينان سماويان (وإن طرأ تحريف على كتابيهما) وأنبياؤهما لهما في الاعتقاد الاسلامى مرتبة دونها مرتبتهما لدى بعض أتباعهما وذلك جزء من الاعتقاد الاسلامى بدونه لا يكتمل إيمان المسلم بينما لا يعترف أتباع هاتين الديانتين بالإسلام كدين، ولا بكتابه كوحى إلهى ولا بنبيه محمد ﷺ كنبى ورسول. بل إن الإسلام يتميز ويمتاز بأنه الدين الوحيد الذي تجاوز الاعتراف بالآخر وجعل حماية هذا الآخر والدفاع عن حقه في الاختلاف جعل ذلك عقيدة وذمة ولا يكتمل بدون رعايتها والحفاظ عليها إيمان المؤمنين بالإسلام؛ وإلى هذه الذروة يرتقى الإسلام حين يجعل من حماية الكفار في دولة الإسلام دينا يتعبد به المسلمون وليست مجرد تسامح أو اختيار إنسانى أو حق من حقوق الإنسان؛ وتبعا لهذا الهدى القرآني فقد كفل الإسلام لأهل الأرض الحرية الدينية ما لم يعرف له نظير أبدا في سائر بقاعها [٢] حيث أعطى الإسلام حرية الاعتقاد.

وعقد الذمة عقد مؤبد يتضمن إقرار غير المسلمين على دينهم وتمتعهم بحماية الجماعة الإسلامية ورعايتها بشرط بذلهم " الجزية "

(١) علاقات المسلمين بغيرهم في القرآن الكريم ص٦.
(٢) المرجع السابق ص١٢.

والتزامهم بأحكام القانون الإسلامى في غير الشئون الدينية وبهذا يصيرون من أهل دار الإسلام فهذا العقد ينشئ حقوقا متبادلة لكل من الطرفان: المسلمين وأهل ذمتهم بإزاء ما عليه من واجبات(١).

موقف القرآن والسنة من أهل الذمة:

يأمر القرآن المسلمين بالإيمان بكل نبى أرسله الله وكل كتاب أنزله على رسول من رسله السابقين ومن ذلك قوله تعالى:{**وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**}. وقوله تعالى:{**آَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**}. وقوله تعالى:{**قُولُوا آَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**}.

وقوله تعالى:{**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا**}.

وقوله تعالى:{**الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ * فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ**}.

كما ورد في القرآن الكريم أكثر من آية عن الكتب السماوية

---

(١) المرجع السابق ص٧.

ومنزلتها السامية إذ وصفت التوراة بالهدى والنور:{**إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ**). كما وصفت التوراة بالهدى والرحمة في قوله تعالى:{**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**}. كما وصفت التوراة بالفرقان والضياء والإنجيل بالهدى والنور والموعظة.

ولذا فقد عاهد الرسول ﷺ اليهود معاهدة تكفل الأمن لهذا المجتمع الجديد.

المعاهدة بين المسلمين واليهود [(١)]:

لقد كتب الرسول ﷺ وثيقة خالدة تؤلف بين طوائف المجتمع الجديد، ولقد استهلها ببيان موقف المسلمين بعضهم من بعض، مع بيان الواجبات والحقوق لكل منهم، ثم وضح موقف المجتمع المسلم الجديد من اليهود الذين يساكنونه، وأوضح ما عليهم من واجبات وما لهم من حقوق.

يقول أبو بكر الجزائرى: " إن من أبرز الجهود التي بذلها الحبيب ﷺ في الإصلاح والتأسيس والبناء كتابه الذي كتبه فضمنه ميثاقا في غاية الدقة، وحسن السياسة فألف بين سكان المدينة من الأنصار والمهاجرين وجيرانهم من طوائف اليهود وربط بينهم فأصبحوا به كتلة واحدة يستطيعون أن يقفوا في وجه كل من يريد أهل المدينة بسوء[(٢)]. وأذكر من هذه الوثيقة ما يتعلق بالمعاهدة مع اليهود فقد جاء فيها عن سيدنا رسول الله ﷺ وأنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين ".

---

(١) النظم الإسلامية للدكتور / يسرى هانى.

(٢) هذا الحبيب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محب أبو بكر جابر الجزائري ص١٧٦.

نماذج من التعايش [1]:

حفل تاريخ المسلمين بما لا يحصى من الوقائع والأحداث الدالة على تسامحهم، وعدلهم مع غيرهم حتى إنها لتكاد تكون وقائع يومية، لم يعرف مثلها التاريخ لأمة من الأمم، ولعل فيما نورده من قطوف غنية عن الإسهاب في إقامة الشواهد على السلام الاجتماعى والتعايش السلمى القائم على الحق والعدل، والتسامح بين المسلمين وغيرهم من أهل الملل الأخرى، وهذه الشواهد كثيرة نذكر منها:

١ - كان من وصية أبى بكر الصديق رضى الله عنه: لا تقتلن أحدا من أهل ذمة الله فيطلبك الله بذمته، فيكبك الله على وجهك في النار.

٢ - أرسلت امرأة قبطية تدعى فرتونة شكوى إلى أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضى الله عنه بأن عماله في مصر هدموا منزلها من أجل بناء مسجد، وعندما استفسر الخليفة من الوالى عمرو بن العاص رضي الله عنه عن خبرها قال له: أردنا أن نوسع مسجدا وأعطيناها تعويضا عن مسكنها وهو ما يعرف في القوانين الحديثة بنزع الملكية للمصلحة العامة - فرد عمر: ولكن المرأة لم تقبل. فرد عمرو: نعم - فغضب عمر وقال: كيف تقيمون مسجدا على حساب حق للآخرين؟ وأمر بإعادة الأرض إلى فرتونة، وبناء بيتها من بيت مال المسلمين.

٣ - ويروى المؤرخون أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر بباب قوم، وعليه سائل يسأل، وكان شيخا ضرير البصر، فضرب عمر عضده، وقال له: من أى أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودى. فقال أمير المؤمنين: ما ألجألك إلى ما أرى؟ قال: أسأل

(١) السلام الاجتماعى في الإسلام.

الجزية، والحاجة، والسن. فاصطحبه عمر وذهب به إلى منزله، وأعطاه مما وجد، ثم أرسل به إلى خازن بين المال، وقال له: انظر هذا وضرباءه، فوالله، ما أنصفناه إذا أكلنا شبيبته، ثم نخذله عند الهرم.

٤ ـ جاءت امرأة نصرانية عجوز إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه في حاجة لها فقال لها: أسلمى تسلمى. إن الله بعث محمدا بالحق. فقالت: أنا عجوزة كبيرة، والموت إلى أقرب، فقضى لها حاجتها ولكنه خشى أن يكون في مسلكه هذا ما ينطوى على استغلال حاجتها لمحاولة إكراهها على الإسلام، فاستغفر الله مما فعل وقال: اللهم إنى أرشدت، ولم أكره.

٥ ـ كتب الإمام على رضى الله عنه إلى مالك الأشتر حين ولاه مصر: " وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق ".

٦ ـ كتب خالد بن الوليد رضى الله عنه لأهل الحيرة بالعراق، وكانوا من النصارى: " جعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنيا فافتقر، وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته، وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله ".

٧ ـ وفيما يتعلق بمصر وأهلها يرى المؤرخين أن المسلمين في مصر ظلوا أقلية مدة قرنين من الزمان بعد الفتح الإسلامى لمصر الذي تم سنة ٦٤٠م، وهذا دليل قاطع على تعايش الديانتين الإسلام والنصرانية، دون تعصب أو إكراه على الدخول في الإسلام، وأن تحول الكثيرين بعد ذلك إلى الإسلام قد تم دون أى ضغط أو إجبار من الحكام المسلمين.

٨ - وأصر شيخ الإسلام/ ابن تيمية على إطلاق من في أسر التتار من أهل الذمة مع المسلمين فقال لقائد التتار: لا نرضى إلا بافتكاك جميع الأسارى من اليهود والنصارى، فهم أهل ذمتنا ولا ندع أسيرا لا من أهل الذمة ولا من أهل الملة.

٩ - وكتب الإمام / محمد عبده يقول: إن المسلمين ظلوا يحفظون حرمة الأديان، ويرعون حق الذمة، ويعرفون لمن خضع لهم من الملل الأخرى حقه، ويدفعون عنه غائلة العدوان. ومن العقائد الراسخة في نفوسهم: " أن من رضى بذمتنا فله ما لنا، وعليه ما علينا ".

١٠ - يرى الإمام الشافعى أنه لا يحق للزوج أن يفاتح زوجته الكتابية في مسألة إسلامها، ولا يعرض عليها الإسلام لأن فيه تعرضا لهن، وقد ضمنا بعقد الذمة ألا نتعرض لهم، ويرى الفقهاء أنه لا يجوز للزوج أن يمنع زوجته الكتابية من أداء عبادتها وشعائرها.

١١ - ومما كتب الشيخ / محمد الغزالى: إن الحرية الدينية التي كفلها الإسلام لأهل الأرض لم يعرف لها نظير في القارات الخمس، ولم يحدث أن انفرد دين بالسلطة، ومنح مخالفيه في الاعتقاد كل أسباب البقاء والازدهار مثلما صنع الإسلام.

١٢ - ويؤكد الدكتور / شوقى الفنجرى أن الضمان الاجتماعى في الإسلام شمل بمظلته الجميع فيقول: وإذا توسع الإسلام في مبدأ ضمان العامل. وكفالته عند الحاجة، فعممه بالنسبة لكل فرد يعيش في مجتمع إسلامى أيا كانت ديانته أو جنسيته.

كيفية معالجة العنف:

لكل داء دواء، والعنف تتعدد طرق علاجه إلا أنه وقبل كل شيئ الإخلاص لله جل وعلا إذا أردنا القضاء على العنف لابد من الوعى الدينى وتوعيتهم بما يحل وما لا يحل بالترغيب والترهيب بتمسكهم بدين الله جل وعلا، كذلك من طرق المعالجة عودة الأمن الداخلى لأنه لا مجتمع بغير أمن**{الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ}** [(١)] يعقب ذلك معالجة مشكلة البطالة إذ أنها طاقات ممقوتة ومكبوتة ومن السهل أن تستغل استغلالا سيئا، ثم لغة الحوار مع جميع الأطراف كى يتسنى لنا أن نصل إلى الرأى الصواب، من طرق معالجة العنف أزمة الإدارة فكل أزمة تحتاج إلى حنكة في إدارتها وهو فن إدارة الأزمات ولنا القدوة في رسول الله ﷺ، ترابط أجهزة الدولة والقضاء على العنف، إعطاء الحقوق، وتوزيع الموارد فلا نترك واحدا يحتكر مباهج الغنى ونترك الكثير يعانى ويقاسى ويلات الحياة، من طرق المعالجة البحث عن الموارد دون الوقوف عند المتاح فالخيرات كثيرة تحتاج إلى توافر وتضافر الجهود، النهوض بالاقتصاد كى يتحسن الدخل لدى كل فرد ويعيش عيشة هنيئة أدمية وأخيرا القضاء على وكر الرذائل كالمخدرات والمسكرات واستغلال الأموال لما فيه صلاح البلاد والعباد.

---

(١) سورة قريش الآية (٤).

كيفية التعامل مع الفكر المتطرف:

من الإنصاف ألا يتم رمى كل التهم على فئة الشباب، وإظهار المجتمع بصورة ملائكية مثالية، فهذا لن يوصلنا إلى شيئ، فلابد أن نفرق بين الأسباب والمبررات، فالأسباب بحث في الدوافع والخلفيات التي تدفع مجموعة في مطلع الشباب لم يبلغ بعد أمرهم الثلاثين من عمره أما عن المبررات التي تساق لتعريف أعمالهم وتبريرها، ولابد من وجود علماء متخصصين في الشريعة والاجتماع وعلم النفس والقانون للتحاور مع هؤلاء والخروج بالأسباب الفعلية - ثم العمل على تحليل هذه الأسباب ووضع كل سبب في موضعه سواء كان سببا دينيا أم اجتماعيا أو نفسيا ثم العمل على إذابة هذه الأسباب حتى لا تعود ثانية ومحاورة هؤلاء بالدليل والبرهان.

وبالجملة نقول إذا أزيلت أسباب العنف جميعها فهذا يعنى علاجها.

* * *

أهم النتائج والتوصيات

بعد هذا العرض السريع الذي تضمنه هذا البحث لظاهرة العنف رؤية معاصرة من منظور إسلامى نستخلص الآتى:

أولا: الدين مصدر الأمن والأمان، والتدين الصحيح هو السبيل لتحقيق الأمن، والرقابة الإلهية خير ضابط لسلوك الإنسان.

ثانيا: غاية الدين الإسلامى تحقيق السعادة للإنسان في دنياه وأخراه مما يؤدى إلى نشر الأمن والسلام.

ثالثا: تنطوى الرسالات السماوية على قيم ومبادئ مشتركة من شأنها أن تشيع في المجتمع وروح الأمن والسلام والعدالة والمساواة واحترام الآخر.

رابعا: الاختلاف بين البشر سنة إلهية غايتها التعارف وتبادل الخبرات.

خامسا: وضع الإسلام مجموعة من الأنظمة لتحقيق العدالة بكافة صورها من بينها الزكاة والحسبة والتكافل الاجتماعى - هذه الأمور التي تحتاج إلى تفعيل من جديد.

سادسا: قوام الأمن والسلام في أى زمان ومكان هو تحقيق العدالة وذلك يستلزم حسن توزيع الثروات المتاحة بين أفراد المجتمع، تحقيق المساواة، حسن استغلال الموارد البشرية والطبيعية مع تبادل الخبرات واستخدام الأمثل.

سابعا: التعاون الدولى بين الدول العربية والاستثمارات المشتركة المتبادلة فيما بينهم من أجل اقتصاد إسلامى قوى ولتحقيق الأمن والسلام.

ثامنا: وضع المناهج الجديدة الدراسية التعليمية لنبذ فكرة العنف

والبطش والاستيلاء على حق الغير وذلك عن طريق الطرق التعليمية التربوية منذ الصغر.

تاسعا: تنشيط جمعيات ومؤسسات للمساهمة في حل المشاكل الموجودة على الساحة.

عاشرا: دور الأسرة الفعال في التربية على خلق الإسلام ونبذ العنف وما يشابهه.

حادى عشر: إحياء رسالة المسجد والبعد عن الزج به في الصراعات الحزبية السياسية.

ثانى عشر: وجود البيئة الصحية لكل فرد لإبعاده عن الأمراض النفسية والعصبية.

ثالث عشر: الضرب بيد من حديد على يد الإعلام ولاسيما الذي يفسد ولا يصلح والذى يهدم ولا يبنى، وإنشاء قنوات فضائية إسلامية ذات مرجعية دينية تبين للعالم أجمع حقيقة جوهر الإسلام.

هذه التوصيات وغيرها تجعل المجتمع يعيش في أمن وسلام بعيدا عن العنف والطغيان.

* * *

قائمـة بأهـم المراجع

* **القرآن الكريم.**

١- **الإرهاب بين النتائج والأسباب** - د/ جاسم بن محمد بن مهلل آل ياسين.

٢- **الإسلام والغرب بين التعايش والصدام** - د / بغداد سيدى محمد.

٣- **الإسلام والغرب** - د / محمود حمدى زقزوق.

٤- **الإســلام والاســتقرار النفســى** - الأســتاذ / عبــدالتواب إبــراهيم رمضان.

٥- **الإسلام وحاجة الإنسانية إليه** - الأستاذ / محمد يوسف موسى.

٦- **الاضـطرابات السـلوكية والانفعاليـة** - د/ مصـطفى نـورى - د / خليل عبد الرحمن.

٧- **السلام الاجتماعي في الإسلام** - سلسلة تصحيح مفاهيم.

٨- **البداية والنهاية في الخطب المنبرية** - يوسف عبدالغنى كيوان.

٩- **التســامح فــي الحضــارة الإســلامية** - المجلــس الأعلــى للشــئون الإسلامية.

١٠- **الفكر الدينى وقضايا الأمة الإسلامية** - د/ محمود حمدي زقزوق.

١١- **القيم الدينية وثقافة العولمة** - د / الصاوي أحمد الصاوي

١٢- **المستقبل لهذا الدين** - سيد قطب.

١٣- **المقدمات الممهدات** - ابن رشد.

١٤- **المدخل إلى علم النفس** - مجموعة مؤلفين. جامعة الأزهر.

١٥- **النظم الإسلامية** - د/ يسرى هانى - د/ محمد المصطفى.

١٦- **أهل الذمة في المجتمع الإسلامى** - حسن على حسن.

١٧- **بيان للناس من الأزهر الشريف** - إصدار دينى.

١٨- **حقـائق إسلامية فـي مواجهـة حمـلات التشكيك** - د/ محمـود حمدى

زقزوق.
١٩- **حوار الحضارات من أجل الإنسان - تواصل لا صدام** - د/ أمنة نصير.
٢٠- **دمروا الإسلام أبيدوا أهله** - جلال العالم.
٢١- **دين الحق** - عبدالرحمن بن حماد آل عمر.
٢٢- **درة الواعظين وإرشاد الحائرين** - يوسف عبدالغنى كيوان.
٢٣- **(روح الإسلام)** - محمد عطية الإبراشى.
٢٤- **صور حضارية من عطاء الإسلام** - لجنة التعريف بالإسلام - المجلس الأعلى، للشئون الإسلامية.
٢٥- **طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد** - عبدالرحمن الكواكبى.
٢٦- **ظاهرة العولمة - رؤية نقدية** - د / عمر عبيد.
٢٧- **ظاهرة الإرهاب - الأبعاد والمخاطر** - إصدار وزارة الأوقاف المصرية.
٢٨- **فتح البارى شرح صحيح البخارى** - ابن حجر العسقلانى.
٢٩- **قصص القرآن** - د/ محمد بكر إسماعيل.
٣٠- **قصص الأنبياء** - الحافظ ابن كثير.
٣١- **كونوا خير أمة** - السيد عبد الرءوف.
٣٢- **مائة سؤال في الإسلام** - الشيخ محمد الغزالى.
٣٣- **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين** - لأبى الحسن الندوي.
٣٤- **مختارات إسلامية** - حلمى عبد المجيد.
٣٥- **مقومات الأمن المجتمعى الإسلامى** - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
٣٦- **نظرات في الإسلام** - محمد عبد الله دراز.

٣٧- **هذا الحبيب محمد ﷺ يا محب** - لأبى بكر جابر الجزائرى.

٣٨- **هذا هو الإسلام** - مجموعة من العلماء.

٣٩- **مجلات إسلامية (الأزهر - منبر الإسلام)** - أعداد متنوعة ومتميزة تواكب (البحث).

٤٠- **مقالات إسلامية أخرى.**

* * *

صدر للمؤلف

1- البداية والنهاية في الخطب المنبرية .
2- وقفات إيمانية مع المناسبات الدينية .
3- عمل الإنسان في ميزان الإسلام .
4- القول المبين في تاريخ الكعبة ومسجد خاتم النبيين .
5- درة الواعظين وإرشاد الحائرين .
6- مواقف عصيبة في حياة الرسول ﷺ .
7- زاد المشتاقين إلى جنة رب العالمين .
8- العنف بين النتائج والأسباب رؤية معاصرة من منظور إسلامي .

* * *

الفهرس

* * *